

الحياة الاقتصادية في الطائف منذ الهجرة النبوية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين

عام (١ - ٤٠ هـ / ٦٢٢ - ٦٦١ م) (*)

أ. سمية سعيد محمد آل عبيد

(*) دراسة منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، لغيثان بن جريس (الطبعة الاولى) (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م) ، (الجزء الرابع والعشرون) ، ص ص ٦١-١٦١ .

القسم الثاني

الحياة الاقتصادية في الطائف منذ الهجرة النبوية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين عام (١-٤٠١هـ/٦٢٢-٦٦١م). بقلم . أ. سمية سعيد محمد آل عبيد^(١)

(١)

الصفحة	الموضوع	
٦٣	مقدمة.	أولاً :
٦٥	العوامل المؤثرة في الحياة الاقتصادية	ثانياً :
٦٥	١- العوامل الطبيعية.	
٦٩	٢- العوامل الدينية والعسكرية .	
٧٦	٣- العوامل الاجتماعية .	
٧٧	٤- العوامل الأدبية والثقافية.	
٧٩	النشاط الزراعي والرعي	ثالثاً :
٧٩	١- النشاط الزراعي .	
٧٩	أ - أهمية الزراعة ونظرة الإسلام إليها .	
٨٠	ب- مقومات الزراعة في الطائف .	
٨٤	ج - أساليب الزراعة ووسائلها .	
٨٥	د - أنظمة الري .	
٨٦	هـ - المحاصيل الزراعية .	
٩٢	و - أثر الآفات والفتن على الزراعة .	
٩٤	ز - ملكية الأراضي الزراعية .	

(١) هذا البحث أساساً رسالة ماجستير من قسم التاريخ في كلية العلوم الإنسانية بجامعة الملك خالد للطالبة سمية بنت سعيد بن محمد آل عبيد السرحاني الشهراني . حصلت الطالبة (سمية) على الدرجة في شهر شعبان عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) . ووافقت على نشر البحث في (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (الجزء الرابع والعشرون) ، والأستاذة سمية من مواليد قرية آل سرحان بمنطقة عسير عام (١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ، بدأت مراحل تعليمها الأولى (الابتدائية والمتوسطة والثانوية) في مسقط رأسها (قرية آل سرحان) ، ثم درست البكالوريوس في علم التاريخ بجامعة الملك خالد ، وحصلت على الدرجة عام (١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م) ، كما حصلت على درجة الماجستير في التخصص نفسه (فرع التاريخ الإسلامي) عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) ، وحصلت الأستاذة سمية على العديد من الدورات في مجالات عديدة (علمية ، وتقنية ، وتربوية) ، وكانت طالبة متابرة وجادة أثناء مرحلة الماجستير ، فقد درست مواد عديدة ، وأشرفت عليها في الرسالة . (ابن جريس) .

الصفحة	الموضوع	
٩٥	٢- النشاط الرعوي .	
٩٥	أ - رعي الماشية وتربية الحيوانات .	
٩٧	ب - الصيد .	
٩٨	٣ - الجمع والالتقاط .	
٩٩	رابعاً : النشاط الصناعي والحرفي	
٩٩	١- الصناعات الجلدية .	
١٠٤	٢- الحدادة والصياغة .	
١٠٦	٣ - البناء والنجارة .	
١٠٨	٤ - صناعة النسيج وخطاطته وصباغته .	
١١١	٥ - حرف الإعاشة .	
١١٢	٦ - الصناعات الطبية .	
١١٣	٧ - حرفة تربية النحل وجني العسل .	
١١٤	٨ - صناعة النبيذ .	
١١٨	خامساً النشاط التجاري والأسواق	
١١٩	١- مقومات التجارة في الطائف .	
١١٩	٢ - التجارة الداخلية .	
١٢١	٣ - التجارة الخارجية .	
١٢٣	٤ - وسائل النقل .	
١٢٣	٥ - الأسواق .	
١٢٨	٦ - السلع التجارية .	
١٣٠	٧ - أساليب التعاملات التجارية .	
١٣٤	٨ - الزكاة .	
١٣٦	٩ - المكاييل والموازين والمقاييس .	
١٤٠	سادساً : أثر الحياة الاقتصادية على الحياة العامة بالطائف	
١٤٠	١- الجانب الديني .	
١٤٢	٢- الجانب السياسي والعسكري .	
١٤٤	٣- الجانب العلمي والأدبي .	
١٤٦	٤- الجانب الاجتماعي .	
١٤٧	٥- الجانب العمراني .	
١٤٨	سابعاً : الخاتمة .	
١٥٠	ثامناً : المصادر والمراجع .	

أولاً : مقدمة

الحمد لله الذي لولاه ما جرى قلم ولا تكلم لسان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد - ﷺ - أفصح الناس لساناً، وأوضحهم بيانا؛ أما بعد: نالت مدن الحجاز و قراها النصيب الأكبر من اهتمام الدراسات التاريخية في عصر النبوة والخلفاء الراشدين، وعلى اعتبار أن الطائف ثالث أهم مدينة في الحجاز، كونها إحدى محطات النضال الدعوي؛ فقد حظيت هي الأخرى بدراسة أحوالها السياسية والعسكرية آن ذاك، مع الحديث - بشكل مقتضب - عن جوانب حضارية أخرى؛ كالنواحي الثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية التي لم ترق إلى مستوى الاهتمام بالحياة الاقتصادية لمكة والمدينة؛ لذا فقد وقع اختياري على موضوع الحياة الاقتصادية في الطائف منذ الهجرة النبوية وحتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين (١ - ٤١ هـ / ٦٢٢ - ٦٦١ م)؛ لما لها من أهمية اقتصادية امتدت لقرون عديدة. وتكمن أهمية هذه الدراسة أنها تقدم صورة شاملة ومستقلة عن جانب مهم من جوانب الحضارة في الطائف في تلك الحقبة المبكرة؛ حيث إن الحياة لم تقتصر على أوضاع سياسية بحتة؛ إنما تخللها تطور حضاري كبير شمل الجوانب العامة بالمدينة كافة.

(*) ولم تكن هذه الدراسة ميسرة فقد واجهت الباحثة صعوبات عدة

أثناء إعداد البحث، وبذلت الكثير من الجهد والوقت في تخطيطها ومنها:

- ١ . قلة المادة العلمية في جوانب عديدة من مباحث البحث؛ مما دعا الباحثة إلى التوسع في مطالعة كثير من العلوم الاجتماعية والإنسانية والأدبية، للحصول على المادة العلمية التي تتأثر في ثناياها، والتي لا تخلو من التكرار في كثير من المصادر.
 - ٢ . تركيز كتب التراث الإسلامي على الحواضر الإسلامية الكبرى، وإهمال الطائف، فلم يتم الحديث عنها بشكل مستقل أو مباشر، سوى بضع سطور في بعض كتب الرحالة والجغرافيين، وأشارت إلى بعض الجوانب الجغرافية والاقتصادية، كما أن بعض المصادر العربية، تناولت الطائف بالحديث على أنها من أعمال مكة المكرمة، ولم تفرد لها إلا في مقتطفات من نصوصها.
 - ٣ . محدودية فترة البحث الزمنية؛ مما اضطر الباحثة للرجوع إلى بعض الدراسات والتقارير الأثرية للاستدلال بها على الوضع الاقتصادي في الطائف.
- واختياري للطائف قد زاد العبء عليّ في تقصي المعلومات من مظانها الأصلية والفرعية؛ وذلك لأن بعضاً من المصادر والمراجع نقلت من بعضها بنفس الصيغة والأسلوب، واتبعت في هذا البحث المنهج التاريخي الوصفي بعد جمع المادة العلمية وتصنيفها وتحليلها ونقدها أحياناً.

(*) وقد قسمت الدراسة على النحو الآتي: مقدمة، وخمسة فصول، وخاتمة؛ وبيانها كالآتي:

الفصل الأول: يدرس العوامل المؤثرة في الحياة الاقتصادية بالطائف، وله أربعة مباحث: العوامل الطبيعية، والعوامل الدينية والعسكرية، والعوامل الاجتماعية، والعوامل الأدبية والثقافية.

الفصل الثاني: يتناول النشاط الزراعي والرعوي، وفيه ثلاثة مباحث على النحو الآتي:

أولها النشاط الزراعي، ثم الرعوي، وآخرها مبحث عن الجمع والالتقاط.

الفصل الثالث: يحمل عنوان النشاط الصناعي والحرفي، وفيه ثمانية مباحث: الصناعات الجلدية، الحدادة والصيغة، البناء والنجارة، صناعة النسيج وخطاطته وصباغته، حرف الإعاشة، الصناعات الطبية، حرفة تربية النحل وجني العسل، صناعة النبيذ.

الفصل الرابع: النشاط التجاري، وله تسعة مباحث على النحو الآتي: مقومات التجارة في الطائف، التجارة الداخلية، التجارة الخارجية، وسائل النقل، الأسواق، السلع التجارية، أساليب التعاملات التجارية، الزكاة، المكاييل والموازين والمقاييس. **الفصل الخامس:** أثر الحياة الاقتصادية في جوانب الحياة العامة بالطائف، وله خمسة مباحث تحدثت فيها عن: تأثير الحياة الاقتصادية في الجوانب الدينية، والسياسية، والعلمية، والاجتماعية، والعمرانية. وتضمنت الخاتمة أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة.

(*) **وَجُلَّ ما وجدت من الدراسات السابقة كانت قد تناولت الحياة**

الاقتصادية بالطائف في سطور ومعظمها عن الحياة الاقتصادية في الدولة الإسلامية، ومن تلك الدراسات:

١. الكناني، توفيق: الطائف قبل الإسلام من الألف الأول ق.م حتى أوائل القرن ٧م، رسالة دكتوراة غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، ١٤٢٩ هـ / ٢٠١٨ م، استقيت منها العديد من المعلومات عن الأوجه الحضارية في الطائف قبل الإسلام.
٢. لعشوري، آمال: **الحرف والمهن في الدولة الإسلامية في العهدين النبوي والراشدي**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ قالة، ١٤٢٨ هـ / ٢٠١٧ م، تطرقت هذه الدراسة إلى العديد من الحرف والصناعات اليدوية التي أمدتني بمعلومات عن الجانب الصناعي في الطائف.

(*) **أما مصادر هذه الدراسة فقد تنوعت طبقاً لتنوع فصولها ومباحثها، ومن أهمها:**

- (أ) كتب الجغرافيا والرحلات: كتاب **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق للإدريسي** (ت: ٥٥٩ هـ)، وكتاب **المسالك والممالك للأصطخري** (ت: ٣٤٦ هـ)، وكتاب **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع للبكري** (ت: ٤٨٧ هـ)، وكتاب **صورة الأرض لابن حوقل** (ت: ٣٦٧ هـ)، وكتاب **المسالك والممالك لابن خردزادة** (ت: ٢٨٠ هـ)، وكتاب **الأعلاق النفيسة لابن رسته** (ت: ٣٠٠ هـ)، وكتاب **صفة جزيرة العرب للهمداني**

(ت: ٣٣٤ هـ). ومن هذه المصادر استخرجت جغرافية الطائف، وطبيعة مناخها، وتربتها، وبعضاً من محاصيلها الزراعية.

(ب) كتب التاريخ الاسلامي: ككتب السيرة، ومن أهمها: كتاب السيرة النبوية لابن هشام (ت: ٢١٨ هـ)، وكتب التاريخ الحولي ككتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت: ٦٣٠ هـ)، وكتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي (ت: ٧٤٨ هـ)، وغيرها من الكتب التي استقيت منها الحالة الاجتماعية والسياسية للطائف في القرون الإسلامية المبكرة.

(ج) كتب اللغة: ككتاب لسان العرب لابن منظور (ت: ٧١١ هـ)، ولهذا الكتاب أهمية بالغة في إيضاح ما أشكل من مفردات هذه الدراسة.

(د) كتب فقه الاقتصاد الاسلامي: ككتاب الأموال لابن سلام (ت: ٢٢٤ هـ)، ومنه استخرجت بعضاً من المعاملات التجارية في الإسلام. وهناك العديد من المصادر والمراجع التي رجعت إليها الباحثة، واستفادت منها بكتابة الدراسة، ويمكن الاطلاع عليها في قائمة المصادر والمراجع نهاية البحث.

ثانياً : العوامل المؤثرة في الحياة الاقتصادية :

١- العوامل الطبيعية

أ- الموقع الجغرافي

تعد الطائف^(١) من أغنى مدن شبه الجزيرة العربية وأشهرها لما تتمتع به من موقع متميز، ولما حباها الله تعالى به من نعم وخيرات كثيرة. وتقع في الجزء الغربي من شبه الجزيرة العربية فيما يعرف بالحجاز^(٢)، على ظهر جبل يسمى غزوان^(٣) أحد

(١) تعددت الروايات بشأن تسمية الطائف، والرواية الأصح ما ذكر ياقوت الحموي عن الكلبي أن رجلاً من الصدق يقال له: الدمون بن عبد الملك قتل ابن عم له يدعى عمرو بحضرموت، ثم أقبل هارباً فأتى مسعود بن معتب الثقفي ومعه مال كثير و كان تاجراً فقال: أحالفكم لتزوجني وأزوجكم وأبني لكم طوفاً عليكم مثل الحائط لا يصل إليكم أحد من العرب، قالوا: فابن، فبني بذلك المال طوفاً عليهم فسميت الطائف، وتزوج إليهم فزوجوه"، ولهذا السور بابان أحدهما لبني يسار واسمه صعب، والآخر لبني عوف واسمه ساحر، وعلى كل منهم حراسة بابه خوفاً من الدخلاء. الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، دط (بيروت: دار صادر، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م) ص ٩.

(٢) الحجاز: هو المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية المعاصرة: مدنه الرئيسية جدة، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، والطائف، وينبع؛ وحدوده التاريخية مختلف فيها إلا أنه يمكن اعتبارها من شمال صعدة في اليمن جنوباً، إلى عمان في الأردن شمالاً؛ ولكن الراجح عند الأكثر أنها من الطائف والباحة جنوباً وحتى خيبر شمالاً، ويأتي على رأس أشهر القبائل العربية التي استوطنت الحجاز قديماً قبيلة قريش في مكة، وهي التي ينتسب إليها النبي محمد ﷺ، والخلفاء الراشدون والأمويون والعباسيون؛ بالإضافة إلى قبائل كنانة وجرهم وخزاعة بمكة، والأوس والخزرج في المدينة، وتضيف في الطائف. الدينوري، ابن قتيبة: المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط ٢ (القاهرة: الدار المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢ م) ص ٥٦٧. البلادي، عاتق: معجم معالم الحجاز، ط ٢ (مكة: دار مكة، ٢٠١٠ م) ص ٤٠٩.

(٣) جبل غزوان: ذكر عند البعض باسم عروان، وذلك بسبب اللبس الحاصل بين هذا الجبل و جبل آخر

جبال السروات شرقي مكة المكرمة نحو وادي القرى^(١)، والمسافة بينهما نحو اثني عشر فرسخاً^(٢)، وهي بذلك تعد أدنى السروات إلى مكة^(٣)، وتتشارك المدينتان في خطوط الطول ذاتها من المشرق إلى المغرب، فيبلغ طولهما ٦٨ درجة و ٣١ دقيقة، وعرضها ٢١ درجة و ٤٠ دقيقة^(٤). ولموقعها أهمية تجارية بالغة؛ فهي تقع على الطريق التجاري الذي يربط اليمن ببلاد الشام والموازي للبحر الأحمر عابراً أهم مدن الحجاز: الطائف، ثم مكة، ثم المدينة إلى أن يصل إلى وجهته المبتغاة^(٥). واستفاد أهل الطائف من تلك الخيرات التي تميزت بها مدينتهم، وجعلوا منها مدينة غنية؛ فاحتلت مركزاً تجارياً مميّزاً حتى كادت تنافس مكة وإن لم تصل إلى ما وصلت إليه من نفوذ سياسي وديني وتجاري^(٦).

ب- التضاريس والمناخ:

تتنوع التضاريس في الطائف نظراً لوقوعها عند ملتقى سهل تهامة وجبال السروات التي تكوّنت نتيجة لانحدار الدرع العربي الذي انفصل عن قارة إفريقيا. ويمكن تقسيم التضاريس في الطائف إلى ثلاثة أقسام طبيعية: القسم الجبلي الذي يتركز - بشكل كبير - في المناطق الجنوبية والغربية^(٧)، وقد شكلت حصناً طبيعياً للمدينة عبر العصور، وتميزت جبالها باكتسائها باللون الأخضر في فصل الربيع، فنبت بها أشجار متنوعة؛ كأشجار السدر، والعرعر، وأنواع ساحرة من الزهور^(٨)، كما تميزت تلك الجبال بوجود قنوات تحتفظ بمياه الأمطار فيستفيد منها سكان الطائف في أعمالهم الزراعية، ويتخللها الكثير من الأودية؛ كوادي وج^(٩) الواقع بين جبلي الأصيحر والمحترق

قرب يلملم، يبلغ ارتفاعه نحو ستة آلاف قدم، ويعد من أشد جبال الحجاز مناعة وحصانة، كما يكثر فيه الصيد، ويجلب منه العسل لكثرة نخله. البلادي: المرجع السابق، ص ١٢٦٠.

(١) الإدريسي، محمد: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج ١، د. ط (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢ م) ص ١٤٤.

(٢) الفرسخ: كلمة فارسية أصلها فرسك، وهي وحدة تقيس المسافة قديماً، ومقدارها ثلاثة أميال. ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٦.

(٣) ياقوت: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٠٥.

(٤) القلقشندي، أبو العباس أحمد: صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج ٤، ط ١ (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٤٠ هـ / ١٩٢٢ م) ص ٢٥٩.

(٥) المنجم، إسحاق: أكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، ط ١ (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨هـ) ص ٥٦. السوداني، صلاح: الحياة الاجتماعية في الحجاز قبل الإسلام، ط ١ (عمّان: مركز الكتاب الأكاديمي، ٢٠١٦ م) ص ٤٥.

(٦) القصير، عيسى: أحلى اللطائف في منتجع الطائف، ط ١ (الطائف: جامعة الطائف، ٢٠١٠ م) ص ٧٨.

(٧) ياقوت: المصدر السابق، ج ١، ص ٢١٨. القصير: أحلى اللطائف، ص ٢٣.

(٨) البلادي: معالم الحجاز، ص ٦٢٢.

(٩) وج: اسم الطائف القديم، وقيل: اسم لحصونها فقط. القلقشندي، أبو العباس: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط ٢ (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م) ص ١٥٠.

جنوب غرب الطائف. وعلى الرغم من انتشار الجبال في تلك المناطق إلا أن ذلك لم يحد من انتشار المسطحات الزراعية؛ حيث إنها تضم بين ثناياها التربة الصالحة للزراعة. أما المنطقة السهلية فهي تلك الأراضي الموجودة بالقرب من الموارد المائية؛ كالأودية، والسدود، والعيون في أنحاء مختلفة من الطائف، ولعل هذا الجزء هو ما يميز الطائف عن غيرها من المدن المجاورة التي اتصفت بالجذب والقحط وندرة الغطاء النباتي؛ كمكة المكرمة، والنواحي المجاورة لهضبة نجد^(١)، وتنتشر بها المزارع خاصة مزارع العنب والرمان والموز، وتضم هذه المنطقة العديد من الأودية؛ كوادي لية^(٢) ووادي نخب^(٣)، وقد وصفها عرام بأنها: "ذات مزارع ونخيل وموز وأعنان وسائر الفواكه، وبها مياه جارية وأودية"^(٤). وتتركز المنطقة الصحراوية في النواحي الشمالية والشمالية الشرقية، واتصفت تلك المنطقة بطبيعة الحال بقلة الغطاء النباتي، ولم يستطع أحد أن يتكيف معها سوى البدو الرحل^(٥).

وتبعاً لاختلاف التضاريس بالطائف يختلف المناخ أيضاً، حيث تتراوح درجات الحرارة ما بين (٨ إلى ٣٠) درجة مئوية طوال العام، وفي بعض الأحيان قد تصل درجة الحرارة إلى ٤ درجات ونادراً ما تزيد عن ٣٠ درجة؛ فالمنخفضات يغلب عليها الاعتدال، بعكس الجبال فقد امتازت بالبرودة التي تصل أحياناً إلى التجمد^(٦)، يقول الاصطخري: "وليس بالحجاز فيما علمته مكان أبرد من رأس هذا الجبل - غزوان - ولذلك اعتدل هواء الطائف، وبلغني أنه ربما جمد الماء في ذروة هذا الجبل وليس بالحجاز مكان يجمد فيه الماء سوى هذا الموضع فيما علمته"^(٧)؛ أما الصحاري المترامية

(١) البصري، الحسن: فضائل مكة والسكن فيها، د.ط (الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) ص ١٥. الجودي، صالح: الطائف بين الموروث والمستجدات، ط١ (الطائف: دار الحارثي، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ص ٢١.

(٢) أكبر أودية الطائف وأوفرها ماءً، وهو واد ضيق ومستطيل يبدأ من الشرق الجنوبي، وعلى طرفيه بساكنين خلافة وزروع كثيرة حتى يصل إلى الشرق الشمالي من المدينة، مر به الرسول ﷺ - وبه أمر بهدم حصن مالك بن عوف قائد قبيلة غطفان العدنانية. الهمداني، الحسن بن أحمد: صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد الأكوغ، ط١ (صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) ص ٣٠٣. ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٠.

(٣) من أجمل أودية الطائف وأطفها هواءً وأجودها تربة، يمتد من الجنوب الشرقي إلى الشمال الشرقي من الطائف، ويتميز هذا الوادي بكثرة شجر الأراك فيه. كمال، محمد: من تاريخ الطائف: وادي نخب وسكانه قبيلة وقدان، مجلة العرب، مج ١، ٦٤ (الرياض: دار اليمامة، ١٩٦٧م) ص ٥١٥.

(٤) السلمي، عرام بن الأصبغ: أسماء جبال تهامة وجبال مكة والمدينة وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م) ص ٣٠.

(٥) البندنجي، أبو بشر: التفتية في اللغة، تحقيق: خليل العطية، د.ط (العراق: وزارة الأوقاف، ١٩٧٦م) ص ٦٦٧. الجابري، نزهة: قرى الطائف سماتها وأنماطها، المجلة الجغرافية العربية، مج ٢، ع ٥٢ (القاهرة: الجمعية الجغرافية المصرية، ٢٠٠٨م) ص ٣٠٠.

(٦) الجودي: الطائف بين الموروث والمستجدات، ص ٢١.

(٧) الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم: المسالك والممالك، د.ط (ليدن: مطبعة برييل، ١٨٧٠م) ص ١٩.

في الأطراف الشرقية والغربية فتزداد الحرارة بها حتى تحيد عن الاعتدال^(١)؛ ولذلك فقد أصبحت الطائف الوجهة المفضلة لساكني شبه الجزيرة العربية كأثرياء قريش الذين كانوا يهرعون إليها هرباً من قيظ مكة، يذكر المقدسي أنها: "مدينة صغيرة، شامية الهواء، باردة الماء إذا تأذى ملوك مكة بالحر خرجوا إليها"^(٢)، وكان لمصيفهم بها أثرٌ بالغٌ في تزايد فرص استثمار أثرياء قريش لأموالهم بالطائف، ليس هذا فحسب؛ بل إن لطيب مناخها أهمية بالغة في تكوين حضارة راقية مع استمرارها وتطورها أيضاً؛ لذلك فقد صنفت كأكثر المدن العربية تحضراً، كما أن هناك نظرية جغرافية تربط بين درجة الحرارة ودرجة الحضارة، فتجعل انخفاض درجة الحرارة من عوامل التقدم الحضاري، فلا غرو إن أصبحت مدينة الطائف من أكثر بلاد العرب حضارة^(٣).

ج- الثروات الطبيعية:

تمتلك الطائف مجموعة من الثروات الطبيعية التي ساعدتها في استقرارها الاقتصادي ونهوضها في مجالات مختلفة، ومن أهم تلك الثروات: الثروة المائية والنباتية والحيوانية، ولم تحتو أرض الطائف على أنهار أو بحيرات إلا أن الله - عز وجل - حباها بموارد مائية مختلفة؛ فقد انتشرت الأودية الخصيبة في أرجاء الطائف، وتركزت في النواحي الجنوبية والجنوبية الغربية، وكذلك في النواحي الشمالية والشمالية الشرقية؛ يذكر الهمداني^(٤) بعضاً من أودية الطائف في نواح مختلفة منها؛ كوادي برد^(٥)، وجفن^(٦) ولية، ووج، ومشريق^(٧)

وجلدان^(٨) في دلالة واضحة على كثرة الأودية وانتشارها في الطائف، وقد أدى ذلك لانتعاش الزراعة واستمرارها طوال العام. كما امتازت الطائف بالعيون والينابيع التي كوَّنتها مياه الأمطار^(٩) حتى بالغ البعض في كثرتها، فذكرت إحدى الروايات أن

(١) الجودي: الطائف بين الموروث والمستجدات، ص ٢١.

(٢) المقدسي، شمس الدين محمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط ٢ (لیدن: مطبعة بريل، د.ت) ص ٧٩.

(٣) صقر، نادية: الطائف في العصر الجاهلي وصدور الإسلام، ط ١ (جدة: دار الشروق، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) ص ٩.

(٤) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٢٣

(٥) برد: أحد مساليل وادي وج، يسكنه قوم من هذيل وقريش. الهمداني: المصدر السابق، ص ٢٢٣.

(٦) جفن: وادي لبني سليم من ثقيف، يقع يمني الطائف. الهمداني: المصدر السابق، ص ٢٢٣.

(٧) مشريق: وادي لبني أمية من قريش، سماه الأصفهاني الشريق وهو من بلاد الطائف. الهمداني: المصدر السابق، ص ٢٢٣. التكريتي، بهجت: الطائف رافد من روافد الثقافة العربية والإسلامية، مجلة الفيصل، ع ٤ (الرياض: دار الفيصل الثقافية، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م) ص ٤٢.

(٨) جلدان: وادي في شرقي الطائف، يسكنه بنو هلال، ويقع بالقرب من وادي لية. التكريتي: الطائف رافد من روافد الثقافة، ص ٤٢.

(٩) تكثر الأمطار في الطائف في فصلي الربيع والصيف، ويبلغ معدل سقوط الأمطار في الجبال نحو ٢٥٠ ملم؛

لوادي وج ما يزيد عن تسعين عيناً^(١). وكذلك الآبار التي تستخرج منها المياه الجوفية التي تكونت نتيجة لتجمع مياه الأمطار في باطن الأرض، ومن أشهرها بئر وادي وج التي شرب منها رسول الله -ﷺ- وصلى بحداثتها^(٢).

نظراً لتوفر المياه وخصوبة التربة فقد اكتست مناطق شاسعة من الطائف بالغطاء النباتي حتى إن سفوح الجبال كانت مغطاة بأنواع مختلفة من الأشجار كالعرعر والسدر، وعمل أهالي الطائف على استصلاح الأراضي وزراعتها بشتى أنواع النباتات^(٣)، فزرعوا الرمان والموز والنخيل والتين، وتفوقوا في زراعة العنب^(٤). يجدر بنا الإشارة إلى أن الثروة النباتية لم تكن بحال واحد فقد نالها ما نال أراضي الحجاز من جذب وقحط في فترات مختلفة^(٥).

لم تقتصر ثروات الطائف على ذلك؛ فقد درجوا على جمع الماشية وتربيتها واتخاذها وسيلة للنقل، كما برعوا في دباغة الجلود وتطويعها حتى أصبح للآدمي الطائفي صيت ذائع وسوق نشط، وعُرفت الطائف بتربية النحل واستخراج العسل؛ فلم يضاف العسل الطائفي أي نوع آخر في عموم الحجاز^(٦).

٢ - العوامل الدينية والعسكرية :

اشتد على رسول الله -ﷺ- أذى قريش بعد أن هلك أبو طالب فاتجه نحو مدينة أخري من جارات مكة أملاً في إيجاد النصر والعون فتوجه لمدينة الطائف، وهناك وجد رداً مماثلاً لردة فعل قريش تجاه الدعوة، فقد سفهوه وسبّوه ووصفوه بالجنون، وأغروا به عبيدهم وسفهاءهم، ورموه بالحجارة حتى أصيبت قدميه وسالت منهما الدماء^(٧). عاد الرسول -ﷺ- إلى مكة وظل يدعو أهلها والقبائل المجاورة لها للإسلام حتى أذن الله -تبارك وتعالى- له بالهجرة إلى المدينة لتبدأ منها العمليات العسكرية والحربية في سبيل الدعوة ونشر الإسلام^(٨). وفي السنة (٨ هـ / ٦٣٠ م) من الله -عز وجل- على المسلمين بفتح مكة ودخولها تحت راية الإسلام، وإرسال بعض سرايا حول مكة للدعوة للإسلام وهدم أصنام المشركين، من هنا خشيت القبائل المقيمة حول مكة والطائف

بينما يقل في الصحاري فيصل إلى ٥٠ ملم. الجودي: الطائف بين الموروث والمستجدات، ص ٢١.

(١) آل عبد الله، الشريف محمد: عيون الطائف، مجلة العرب، مج ٢٤، ع ٩-١٠ (الرياض: دار اليمامة، ١٩٨٩ م) ص ٦٠٤.

(٢) القاري، عبد الحفيظ: رسالة في أخبار الطائف، تحقيق: علي عمر، ط١ (القاهرة: نوابغ الفكر، ١٤٢١هـ/ ٢٠١٠م) ص ٢٠.

(٣) البلادي: معالم الحجاز، ص ١٤٨٣.

(٤) ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ١١.

(٥) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٣٢٣.

(٦) البلادي: معالم الحجاز، ص ١٢٦٠.

(٧) ابن هشام، عبد الملك: السيرة النبوية، تحقيق: عمر تدمري، ج ٢، ط ٢ (بيروت: دار الكتاب العربي،

١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م)، ص ٣١٩.

(٨) ابن هشام: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٠٩.

أن تدور الدائرة عليهم، فأرادوا قتال المسلمين قبل أن يقاتلوهم، وفي مقدمتهم هوازن وثقيف^(١)، وجمع مالك بن عوف النصري^(٢) القبائل فانضم لهم كل من نصر^(٣)، وجشم^(٤)، وسعد بن بكر^(٥) وجمع من بني هلال^(٦) أملاً منهم في وقف هذا التمدد الإسلامي^(٧)، وأمرهم مالك بن عوف أن يخرجوا بالنساء والأطفال والأموال حتى لا يضر أحد منهم في زعمه وسار بهم إلى حنين^(٨).

لما بلغ الرسول والصحابة الأمر أخذوا عدتهم للقتال، ثم استعار الرسول -ﷺ- مائة درع من صفوان بن أمية. وسار المسلمون يقودهم الرسول وكان عددهم ما يقارب اثني عشر ألفاً، وهذا عدد لم يجتمع للمسلمين من قبل مثله، حتى قال أحدهم: لن نغلب اليوم من قلة^(٩). سبقت هوازن وثقيف المسلمين إلى وادي حنين وتحصنوا في موقعهم، وكانت خطتهم أن يتوزعوا في شعاب ومضايق الوادي وجوانبه حتى إذا انحدر المسلمون من الوادي باغتهم الهجوم حتى تتفرق صفوفهم، وتحل بهم الهزيمة^(١٠). وصل المسلمون إلى الوادي في أول النهار في مقدمتهم بنو سليم وعلى رأسهم خالد بن الوليد -رضي الله عنه-، وحينما انحدروا من مضيق الوادي أمر مالك بن عوف القبائل بالهجوم فشدت شدة رجل واحد، وانهالت السهام الكثيفة على المسلمين، فاختلط أمر المسلمين واضطرب فأنكشفت خيالتهم ثم المشاة، وفر الطلقاء والأعراب ثم بقية الناس، ولم يثبت مع الرسول -ﷺ- سوى عدد قليل من الصحابة^(١١).

(١) ثقيف: بطن من هوازن العدنانية، اشتهروا باسم أبيهم ثقيف، واسمه قسي بن منبه، ومنازلهم بالطائف. القلقشندي: نهاية الأرب، ص ١٩٨.

(٢) مالك بن عوف بن سعد بن يربوع ابن دهمان، يرتفع نسبه إلى نصر بن معاوية بكر بن هوازن، ويلقب بأبي علي النصري نسبة إلى أحد أجداده نصر بن معاوية، وهو فارس وشاعر مخضرم من أهل الطائف، ويعد من الفرسان، توفي سنة ٢٠ هـ. ابن الأثير، عز الدين: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط ١ (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ / ٢٠١٢ م) ص ١٠٧٤.

(٣) بنو نصر: بطن من هوازن، وهم بنو نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن. القلقشندي: المصدر السابق، ص ٤٢١.

(٤) جشم: بطن من بكر بن هوازن، كانت مساكنهم بالسروات الفاصلة بين تهامة ونجد. القلقشندي: المصدر السابق، ص ٢١٤.

(٥) بنو سعد بن بكر بن منصور بن عكرمة بن خفصة بن قيس عيلان، ومنهم حليلة السعدية مرضعة النبي -ﷺ-. ابن حزم، علي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط ٥ (القاهرة: دار المعارف، د.ت) ص ٢٦٥.

(٦) بنو هلال: بطن من عامر بن صعصعة من هوازن، منهم ميمونة زوج النبي -ﷺ-. القلقشندي: نهاية الأرب، ص ٤٤٣.

(٧) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٦١.

(٨) ابن هشام: المصدر السابق، ج ٤، ص ٨١.

(٩) ابن هشام: المصدر السابق، ج ٤، ص ٨١.

(١٠) ابن هشام: المصدر السابق، ج ٤، ص ٨٤.

(١١) ابن هشام: المصدر السابق، ج ٤، ص ٨٦.

ثبت الرسول -ﷺ- في ميدان المعركة، وأحاط به عدد من أصحابه، وجعل ينادي في الناس المفزوعين وقال: "أين أيها الناس؟ هلموا إلي أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله"، ثم أمر عمه العباس، وكان جهوري الصوت أن ينادي الناس المنهزمين: يا معشر الأنصار والمهاجرين، يا أصحاب الشجرة، فتراجعوا إلى ناحية الصوت (١).

سمع الناس نداء العباس -رضي الله عنه- ورجعوا وهم يقولون: لبيك، لبيك، واجتمع حول الرسول -ﷺ- عدد من المسلمين استقبل بهم المشركين، وكان راكبا على بغلته وهو يقول: "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب" واشتد القتال وحمي الوطيس، وأخذ الرسول -ﷺ- ترابا فرمى به وجوه الكفار وقال: "اللهم أنزل نصرك"، ولم يقاوم الكفار طويلا؛ بل فروا من الميدان بعد ثبات المؤمنين حيث أنزل الله عليهم السكينة، وقد تعقب المسلمون الأعداء وقتلوا الكثير منهم، وأسروا بعضهم، وهزمت هوازن ومن كان معها شر هزيمة، وتفرقت فلولهم في الجبال والأودية، وتحصن مالك بن عوف في الطائف، وتركوا وراءهم كثيرا من الأموال والنساء والذراري غنيمة للمسلمين؛ وفي أحداث هذه الغزوة نزل قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعَجَبْتَكُمْ كَثُرَتْكُمُ فَلَ تَغْنِبَنَّ عَنْكُمُ شَيْئًا مَصَافًا عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَابَّتْ مُدْرِيَةَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ تَوَبَّ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ (٢).

بعد انتصار المسلمين في حنين على هوازن وثقيف، وفرار مالك بن عوف إلى الطائف مع ثقيف اتجه الرسول -ﷺ- والمسلمون إلى الطائف لحصارها، وكانت المدينة محصنة وليس لها منفذ سوى الأبواب التي أغلقتها ثقيف بعد استعدادها للحصار، وكانوا ذوي دراية بحرب الحصار.

وصل المسلمون إلى الطائف ونزلوا على مقربة من حصونها، وعندئذ أطلقت ثقيف نبالها وقتلت ناسا من أصحاب رسول الله -ﷺ-، فانسحب المسلمون بعيدا إلى المكان الذي أقيم فيه مسجد الطائف فيما بعد، واستخدم المسلمون بعض الوسائل في الحصار؛ كالمنجنيق لضرب أسوار المدينة، والدبابة للزحف إلى الأبواب ومحاولة فتحها؛ ولكنها لم تفلح في التغلب على مناعة الحصون، كما قطع المسلمون أشجار العنب لإجبار ثقيف

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٨٦.

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي محمد السلامة، ج ٤، ط ٢ (الرياض: دار طيبة، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م) ص ١٢٥-١٢٧؛ سورة التوبة: الآية (٢٥-٢٧).

على الاستسلام، ثم ناشدت ثقيف الرسول -ﷺ- بالكف عن ذلك فأمر بتركها (١).

وجه الرسول -ﷺ- إلى من كان في الحصون نداءً بالأمان لمن خرج منها، فخرج ثلاثة وعشرون من الموالي أعتقهم الرسول بعد إسلامهم، وبعد بضعة عشر يوماً أمر الرسول -ﷺ- بفك الحصار عن الطائف لامتناعها، وعاد بجيشه إلى الجعرانة (٢) حيث قسّم غنائم حنين بين المسلمين، وأعطى حديثي العهد بالإسلام ليتألف قلوبهم (٣). وكان مع غنائم حنين مال وسبي لمالك بن عوف النصرى، فسأل الرسول -ﷺ- وقد هوازن عنه فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف، فقال الرسول -ﷺ-: أخبروا مالكا أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله، وأعطيته مئة من الإبل (٤). لما عرف مالك بن عوف ما قاله الرسول -ﷺ- ركب راحلته ولحق به عند موضع يسمّى الجعرانة وأعلن إسلامه، فرد عليه الرسول -ﷺ- أهله وماله، وأعطاه مئة من الإبل، وحسن إسلامه فيما بعد (٥). وشكّل إسلام هوازن ووجهائها صدمة كبيرة لثقيف وذلك لخسارتها أكبر حليف لها من بين القبائل المناهضة للإسلام، ليس هذا فحسب فقد أعلنت قبائل أخرى إسلامها ممن كانت في يوم حنين؛ كغطفان، (٦) وسليم (٧).

وبعد أن أسلم مالك بن عوف أمره الرسول -ﷺ- على من أسلم من قومه من ثمالة (٨) وفهم (٩) وغيرهم، وكان يقاتل بهم ثقيف، فلا تخرج لهم سرح إلا أغاروا عليها، فوجدت ثقيف نفسها تحت حصار اقتصادي بدون حلفاء، ولم يعد لديها طاقة

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٢٢.

(٢) الجعرانة: قرية صغيرة قريبة من المسجد الحرام، تقع في وادي الجعرانة، اكتسبت شهرة تاريخية بنزول الرسول -ﷺ- فيها وتوزيع الغنائم بها بعد عودته من غزوة حنين. الماوردى، أبو الحسن: الحاوي الكبير، تحقيق: علي معوض وآخرون، ج ٤، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م) ص ٤٢. البلادي: معالم الحجاز، ص ٣٥٨.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٢٧.

(٤) ابن هشام: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٨٠.

(٥) ابن هشام: المصدر السابق، ج ٤، ص ٩٦.

(٦) غطفان بطن من قيس عيلان، وهو بطن متسع كثير الشعوب والبطون، منازلهم بنجد. القلقشندي: نهاية الأرب، ص ٢٨٨.

(٧) بنو سليم: قبيلة عظيمة من ولد منصور بن عكرمة بن قيس عيلان، مواطنهم بأعالي نجد. القلقشندي: المصدر السابق، ص ٢٩٥.

(٨) ثمالة: هي قبيلة من الأزدي تنتسب إلى ثمالة بن أسلم بن أحن بن كعب الأزدي، دخلت بالحلف مع ثقيف، وهم في الجنوب الشرقي من مدينة الطائف. القلقشندي: المصدر السابق، ص ١٩٩.

(٩) فهم: بطن من ولد عمرو بن قيس عيلان، هاجر العديد منهم فيما بعد إلى أرض مصر. القلقشندي: المصدر السابق، ص ٣٩٤.

للحرب فأثرت أخيراً السلم^(١). وفي محادثات بين وجهاء ثقيف قال أحدهم: "إنه قد نزل بنا أمر ليس معه هجرة، إنه كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت، قد أسلمت العرب كلها، وليست لكم بحرهم طاقة، فانظروا في أمركم"، كان لهذه الكلمات وقع في نفوس ثقيف، فقال بعضهم لبعض: "أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سرب، ولا يخرج منكم أحد إلا اقتطع"، وعليه فقد اتفقوا على أن يرسلوا وفداً يمثل مدينتهم إلى رسول الله عليه أفضل الصلوات وأجل التسليم^(٢). وصل هذا الوفد في شهر رمضان من السنة التاسعة للهجرة (٦٣٠-٦٣١ م)، ويبدو أن الوفد كان قد أعد شروطاً مقابل إعلان إسلامهم، وبعد وصولهم بدأت المفاوضات بين الطرفين، ولعلمهم اعتقدوا أن بمقدورهم اعتناق الإسلام دون الالتزام بتعاليمه؛ لذا فقد سار الحوار بينهم بهذا الشكل: قال كنانة بن عبدياليل^(٣): أفرأيت الزنا، فإننا قوم نغترب ولا بد لنا منه، قال الرسول ﷺ: هو عليكم حرام، فإن الله يقول: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَجْشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(٤). قالوا: أفرأيت الربا، فإنه أموالنا كلها، قال ﷺ: لكم رؤوس أموالكم إن الله تعالى يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَذَرَوْا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٥). قالوا: أفرأيت الخمر، فإنه عصير أرضنا لا بد لنا منها، قال: إن الله حرمها، وقرأ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٦)، وسألوه -أيضاً- أن يضع عنهم الصلاة فقال -ﷺ- لهم: لا خير في دين بلا صلاة^(٧).

انقطعت المفاوضات ليتشاور زعماء ثقيف فيما بينهم، وانتهت بموافقتهم مضطرين وليس عن قناعة تامة خوفاً مما تعرض له أهل مكة من قبلهم، عادوا للرسول ﷺ وقالوا: أرايت الربة^(٨)، قال: اهدموها^(٩). ومع محاولاتهم الحثيثة في الإبقاء على الربة

(١) القيسي، عاطف: ثقيف ودورها في التاريخ العربي الإسلامي حتى أواخر العصر الأموي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣ م) ص ٦٢.

(٢) القيسي: المرجع السابق، ص ٦٢.

(٣) كنانة بن عبدياليل: من أشرف ثقيف وزعمائهم. خرج فيما بعد إلى نجران، ثم إلى الروم ومات بها كافراً. ابن الأثير: أسد الغابة، ص ١٠٤٨.

(٤) سورة الإسراء: الآية (٣٢).

(٥) سورة البقرة: الآية (٢٧٨).

(٦) سورة المائدة: الآية (٩٠).

(٧) ابن قيم، أبو عبد الله شمس الدين: زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، ج ٢، ط٣ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م)، ص ٥٢٢.

(٨) الربة: بيت اللات، واللات: وثن كانت تعبده ثقيف، وورد أنها صخرة كان يجلس عليها رجل يبيع السمن واللبن للحجاج، فلما مات ادعى رجل يدعى عمرو بن لحي أن روح الرجل دخلت بالصخرة فعبدها الناس وأخذوا يحجون لها، وبنت ثقيف لهذا الوثن بيتاً يسمى الربة كان يملؤه الحجاج بالحلي والطعام للتقرب منها. كدر، جورج: معجم آلهة العرب قبل الإسلام، ط١ (بيروت: دار الساقى، ٢٠١٢ م) ص ١٥٥ - ١٨٥.

(٩) ابن قيم: المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٢٤.

أو تأجيل هدمها لبضع سنوات إلا أنهم استجابوا لما أمرهم به الرسول ﷺ - في نهاية الأمر بشرط ألا يهدم الربة أحد منهم، فبعث الرسول معهم خالد بن الوليد و المغيرة ابن شعبة^(١)، وقبل أن يعودوا إلى الطائف أمر عليهم عثمان بن العاص^(٢). ونجد من هذه المفاوضات أثر النظم الإسلامية على أشكال الحياة كافة في الطائف، ومن ثم فقد أثرت بالحياة الاقتصادية؛ حيث حُرِّم الربا والخمر للذان كانا من أهم ركائز الحياة الاقتصادية في الجاهلية، ليس هذا فقط؛ بل إن رسول الله ﷺ - أرسل كتاباً فيما بعد لتثقيف قال فيه^(٣):

عن عروة بن الزبير قال: هذا كتاب رسول الله ﷺ لتثقيف: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي رسول الله ﷺ لتثقيف، كتب أن لهم ذمة الله الذي لا إله إلا هو، وذمة محمد بن عبد الله النبي على ما كتب عليهم في هذه الصحيفة أن وادبهم حراماً محرماً لله كلة: عضاهه وصيده وظلم فيه، وسرق فيه، أو إساءة. وتثقيف أحق الناس به، ولا يعبر طائفهم، ولا يدخله عليهم أحد من المسلمين يغلبهم عليه، وما شاءوا أحدثوا في طائفهم من بنيان أو سواه بوادبهم، لا يحشرون ولا يعشرون، ولا يستكروهون بمال ولا نفس، وهم أمة من المسلمين يتولجون ما شاءوا، وأين تولجوا ولجوا، وما كان لهم من أسير فهو لهم، هم أحق الناس به، حتى يفعلوا ما شاءوا، وما كان لهم من دين في رهن فبلغ أصله فإنه لواط "رباً" مبرأ من الله، وما كان في دين في رهن وراء عكاظ - فإنه يقضي إلى عكاظ برأسه، وما كان لتثقيف من دين في صحفهم اليوم الذي أسلموا عليه في الناس فإنه لهم، وما كان لتثقيف من وديعة في الناس ومال أو نفس غنمها موعدها، أو أضاعها إلا فإنها مؤداة، وما كان لتثقيف من نفس غائبة أو مال فإن له من الأمن لشاهده، وما كان لهم من مال بلية فإن له من الأمن ما لهم بوج. وما كان لتثقيف من حليف أو تاجر فأسلم فإن له مثل قضية أمر تثقيف، وإن طعن طاعن على تثقيف أو ظلمهم ظالم فإنه لا يطاع فيهم في مال ولا نفس، وأن الرسول ينصرهم على من ظلمهم، والمؤمنين، ومن كرهوا أن يلج عليهم من الناس فإنه لا يلج عليهم، وأن السوق والبيع بأفنية البيوت، وأنه لا يؤمر عليهم إلا بعضهم على بعض: على بني مالك أميرهم، وعلى الأحلاف أميرهم، وما سقت تثقيف من أعناب قريش فإن شطرها لمن سقاها، وما كان لهم من دين في رهن لم يلط فإن وجد أهله قضاء قضا، وإن لم يجدوا فإنه إلى جمادى الأولى من كل عام قابل، فمن بلغ أجله فلم يقضه فإنه قد لاطه، وما كان لهم في الناس من دين فليس عليهم إلا رأسه، وما كان

(١) المغيرة بن شعبة: أبو عبد الله هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، صحابي جليل، توفي سنة ٥٠ هـ. ابن الأثير: أسد الغابة، ص ١١٦١.

(٢) عثمان بن أبي العاص: ظل على إمارة الطائف إلى أن تولى عمر خلافة المسلمين، مكث بها سنتين ثم استأذن عمر للجهاد، توفي - رضي الله عنه - سنة ٥١ هـ. ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٨٢٢.

(٣) حميد الله، محمد: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط١ (بيروت: دار النفائس ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م) ص ٢٨٤.

لهم من أسير باعه ربه فإن له بيعه، وما لم يبع فإن فيه ست قلائص.

اشتمل الكتاب على مجموعة من البنود والتنظيمات التي منحتم كامل التصرف بأرضهم وفقاً لما شرعه الله دون ظلم أو سرقة أو إكراه؛ مما يعني الحرية الاقتصادية، كما شدد -ﷺ- على حرمة الربا رغم تحريمه عليهم يوم التقى بوفدهم، وبها -أيضاً- بيان لبعض الحقوق المالية لتلا يهضم لهم حق، كما شدد على الوضوح في البيع والشراء من أجل منع الغبن والاستغلال^(١).

وما ان أسلمت ثقيف حتى انضم أبناؤها إلى رسول الله -ﷺ-؛ لتثبيت دعائم الدولة الإسلامية ونشر الدعوة بين المدن والأصوار. ولعب الثقيفون دوراً بارزاً في عهد الخلفاء الراشدين -رضي الله عنهم-، وبرزت ثقيف في حروب الردة التي شاركوا فيها بكل جدارة وشجاعة في عهد أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-، ومن الثابت أن ثقيف أسلمت ولم ترتد عن الإسلام كما فعلت بعض القبائل، بل ساهمت في القضاء على هذه الحركة؛ مما عزز مكانتها بين القبائل العربية المجاورة، وجعلها أول القبائل نفيراً للحروب ونصرة الدين^(٢).

كما شاركت ثقيف في العديد من المعارك والفتوحات الإسلامية التي جابت نواح مختلفة كـمصر والعراق وطبرستان وأرمينية وأذربيجان، وكان لإسهام أهل الطائف أفراداً وجماعات في الجيوش الإسلامية أثراً كبيراً في هذه الفتوحات، على كافة الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية^(٣).

وبناءً على ما سبق نجد أن العوامل الدينية والعسكرية أحد أهم العوامل المؤثرة في الحياة الاقتصادية؛ يعود ذلك للعمليات العسكرية التي شملت الطائف وضممتها للمدن الإسلامية ولجملة التنظيمات التي نصت عليها الشريعة الإسلامية التي عملت على صيغ الحياة الاقتصادية بالطائف بصيغة إسلامية. كما لعبت الحياة السياسية والعسكرية دوراً هاماً في حياة الطائف في عهد الرسول -ﷺ- والخلفاء الراشدين -رضي الله عنهم- حيث أسهمت الغنائم والأموال المتدفقة على الحجاز في ازدهار الحياة الاقتصادية بالمدينة، مما جعلها تحافظ على مكانتها الاقتصادية التي تتمتع بها منذ العصر الجاهلي^(٤).

(١) الملاح، هاشم: طبيعة الدولة الإسلامية (دراسات تاريخية في المفهوم والنظم والإدارة)، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩ م) ص ٢٢١.

(٢) حروب الردة: هي سلسلة من الحملات العسكرية التي شنّها المسلمون على القبائل العربية التي ارتدت عن الإسلام بعد وفاة الرسول -ﷺ-، خلال الفترة الممتدة بين سنتي ١١هـ و١٢هـ، الموافقة لسنتي ٦٢٢م و٦٢٣م. الذهبي، شمس الدين: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ج ٣، ط ٢ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣ م) ص ١٢١.

(٣) البلاذري، أحمد: فتوح البلدان، تحقيق: عمر الطباع، د.ط (بيروت: مؤسسة المعارف، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) ص ٢٩٨-٤٥٥. القصير: أحلى اللطائف، ص ١٢٦.

(٤) القصير: أحلى اللطائف، ص ١٢٦.

٣- العوامل الاجتماعية :

ينقسم مجتمع الطائف إلى ثلاث طبقات اجتماعية: الصرحاء، والعبيد، والموالي؛ أما الصرحاء فهم أبناء القبيلة، ذوو الدم النقي الذي لا تشوبه شائبة، وينتمون جميعاً إلى أب واحد، والذين تتمثل فيهم العصبية القبلية بأقوى معانيها؛ أما طبقة العبيد فقد كانت تتألف من عنصرين: عنصر عربي، وهم أولئك الأسرى الذين كانوا يقعون في أيدي القبيلة في حروبها مع القبائل الأخرى، وعنصر غير عربي، وهم الرقيق الذين كانوا يجلبون من البلاد المجاورة للجزيرة العربية؛ أما الطبقة الثالثة من المجتمع القبلي فهي طبقة الموالي التي تتألف من العتقاء ومن العرب الأحرار الذين لجؤوا إلى القبيلة من قبائل أخرى وعاشوا في حمايتها، أو حماية رئيسها أو بعض ذوي النفوذ فيها^(١). تعد طبقة الصرحاء المحرك الأساسي لأوجه الحياة كافة في الطائف متمثلة بتقيف باعتبارها القبيلة الرئيسية وصاحبة السيادة في المدينة، فما إن استقرت بالطائف حتى عملت على إزاحة العناصر كافة التي تشكل خطراً على أمنها وسيادتها حتى كادت أن تنفرد بها، وما إن أنهت مشكلاتها الداخلية حتى خرجت من أسوارها بحثاً عن الحلفاء، وكانت قريش^(٢) قد سعت لمصالحة تقيف والتقرب منها أملاً في إنهاء خطرها على تجارة مكة بشكل سلمي دون اللجوء للحرب، وبهذا الحلف كانت مكة والطائف قد شكلتا رابطة اقتصادية متكاملة؛ فالطائف تسد حاجات مكة الاقتصادية؛ في حين كانت الطائف مصيفاً لأثرياء مكة ومكاناً مناسباً للاستثمار التجاري والعقاري.

من جانب آخر ارتبطت تقيف وقريش بعلاقات مصاهرة ربطت أسراً قرشية رفيعة بأخرى ثقفية، كما كان لبعض من رجال تقيف مكانة كبيرة عند قريش؛ يظهر ذلك جلياً بعد أن أرسلت قريش أحد رجال تقيف للرسول ﷺ لتقريب وجهات النظر في بعض الأمور السياسية؛ مما زاد من عمق العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين الطرفين^(٣).

ومما ميز طبقة الصرحاء في الطائف أنها تخلت عن الفكرة العربية السائدة تجاه بعض الحرف والصناعات واحتقارها وحصرها على العبيد والموالي^(٤)؛ وتكاثفت طبقات مجتمع الطائف كافة للنهضة باقتصاد المدينة، فانخرط أبناء الذوات بالحرف المختلفة، كما انخرط بها العبيد والموالي باختلاف المهام.

(١) منصور، حسن: المجتمع العربي: بين التاريخ والواقع، ط٢ (عمان: دار الأمواج، ١٤٢٤ هـ / ٢٠١٣ م) ص ٩٥.

(٢) تُعد قريش صاحبة السيادة على القبائل العربية كافة نظراً لمكانتها الدينية التي اكتسبتها من خلال إدارة مراسيم الحج.

(٣) البغدادي، أبو جعفر: المنطق في أخبار قريش، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، ط ١ (بيروت: عالم الكتب،

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) ص ٢٢٢. القيسي: تقيف ودورها في التاريخ العربي الإسلامي، ص ٤١.

(٤) النابلسي، شاكر: المال والهلال، ط ١ (بيروت/ دار الساقي، ٢٠٠٢ م) ص ١٧.

وللعبيد والخدم والجواري - أيضاً - أثر في الحياة الاقتصادية بالطائف، فقد شكلوا نسبة غير قليلة من الأيدي العاملة بالحرف والصناعات، ونجد الموالي انخرطوا في العديد من الصنائع والحرف؛ كالزراعة، والدباغة، والخياطة والحدادة، وكان من أبرز من أمتهن الحدادة من الموالي رجل يدعى الأزرق الثقفي^(١) الذي قدم للرسول - ﷺ - مسلماً أيام حصار الطائف بعد أن نادى عليهم الرسول - ﷺ - بأن كل من يخرج إليه مسلماً منهم فهو حر فخرج عليه عدد لا بأس به من الموالي^(٢).

كان للعرقيات والقبائل المختلفة سواء النازحة أو القاطنة بالقرب من الطائف جهد كبير في رقي الحياة الاقتصادية، فقد كان لليهود الذين طردوا من يثرب واليمن^(٣) أثر بالغ في إثراء العديد من المهن كالزراعة والتجارة؛ وذكر في المصادر الإسلامية أن زراعة كروم العنب أحد أهم المحصولات الزراعية بالطائف، بدأت بعد أن أعطت عجوز يهودية قسي بن منبه - تقيف - أعواداً من العنب قبل أن توافيها المنية، وحين استقر بالطائف زرعها وأنتجت ثماراً لم ير مثلاً في البلاد، كما عرف عنهم منذ القدم براعتهم في التجارة وإسرافهم في المعاملات الربوية التي أغرت بها العامة كونها أسرع طريق للثراء، ولعلمهم وجدوا ضالّتهم في الطائف باعتبارها مدينة اقتصادية لا تقل أهمية عن يثرب واليمن؛ وبعد أن أسلم أهل الطائف قيدت معاملاتهم التجارية بتحريم الربا وفرض الجزية^(٤).

ونجد أن لهذا التشابك و الترابط الاجتماعي أثراً عظيماً في النهضة الاقتصادية بالطائف؛ مما جعلها أكثر تحضراً من باقي مدن الحجاز التي آثر بعضها الانغلاق الاقتصادي، وحصر الحرف في اليهود والأعاجم والعبيد^(٥) فيما عدا الرعي والتجارة.

٤- العوامل الأدبية والثقافية :

تعد العلوم والآداب بمختلفها أحد ركائز بناء المجتمعات على مر الزمان، فكان أحد مدلولات حضارة المجتمع نهضته العلمية والأدبية. لم تؤثر الحركة الأدبية والعلمية

(١) الأزرق بن عقبة صحابي، كان حداداً رومياً من عبيد الحارث بن كلفة، تزوج سمية بنت خياط بعدما فارقتها زوجها ياسر أبو عمار، فولدت له سلمة بن الأزرق. والأزرق ممن فرّوا من حصون تقيف وقت حصارها في غزوة الطائف، وأسلم، فأعتقه النبي - ﷺ - ودفعه إلى خالد بن سعيد بن العاص ليمونه ويعلمه، فصار حليفاً في بني أمية فانكحوه ونكحوا إليه. العسقلاني، ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل عبد الموجود، ج ١، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م) ص ١٩٩.

(٢) شاهين، محمد: تاريخ الموالى، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١١م) ص ٥٢ - ٥٦.

(٣) رجحت الروايات أن اليهود لم يكن لهم وجود في الطائف قبل الإسلام، وأغلب الظن أنهم نزحوا إليها بعد الإسلام فلم تشر المصادر إليهم في حديثها عن صراع أهل الطائف ضد الدعوة الإسلامية كما فعل يهود يثرب. الملاح، هاشم: الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١١م) ص ٣٢٢.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٧٥.

(٥) النابلسي: المال والهلال، ص ١٧.

في الطائفتين بمستوى الثقافتين لدى الفرد فحسب؛ بل كان لها أبلغ الأثر في رفع مستوى الاقتصاد في الطائفتين؛ ففي عكاظ أحد أعمال الطائفتين سوق للبضائع الأدبية يعد أكبر أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، وهو أشهر ملتقى للتجارة والفكر والأدب والثقافة المتنوعة للقبائل العربية والوافدين إلى السوق من أنحاء شبه الجزيرة العربية، يحضره جهابذة الشعر العربي والخطباء والأدباء، ويمارس فيه رواد السوق الألعاب الرياضية؛ كالفرسية، والعدو، والرماية^(١).

يأتي الشعراء في سوق عكاظ بقصائدهم لتعرض على محكمين من كبار الشعراء في منافسة هي الأعلى أدبياً. ومن المظاهر التي كانت تسود سوق عكاظ المفاخرة والمنافرة^(٢) بين الناس، وربما قامت حروب بسبب منافرات قيلت في السوق^(٣) كحرب الفجّار^(٤) إحدى حروب العرب في الجاهلية.

وكونه أحد أعظم أسواق العرب فقد كان يأتيه سنوياً جموع كثيرة من مختلف الأجناس والأعراق، فاتخذوه معرضاً تجارياً شاملاً تجلب إليه أنواع البضائع المختلفة من كل حذب وصوب، فكانت تأتيه السلع من العراق، والشام، واليمن، ويجلب منها السمن، واللبن، والإقط، والأغنام، والإبل، والطيب، والحريز، والجلود، والزبيب، والعنب، وغيرها من البضائع التي كانت تدر على الطائفتين أموالاً طائلة^(٥).

(١) الأفغاني، سعيد: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط٢ (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) ص ٢٧٧ - ٢٧٨.

(٢) المفاخرة: محاوراة كلامية بين اثنين أو أكثر، وفيها يتباهى كل من المتفخرين بالأحساب والأنساب، ويشيد بما له من خصال، وما قام به من جلائل الأعمال. والمنافرة كالمفاخرة وأشد، وكان الرجلان إذا تنازعا الفخر وادعى كل منهما أنه متفوق على صاحبه نفرا إلى حاكم يرضيانه ليقتضي بينهما، فمن فضله على صاحبه كان له غنم الحكم، وعلى صاحبه المفروض من الإبل وغيرها. السهلي، أبو القاسم: الروض الأنف، تحقيق: عمر السلامي، ج ٤، ط١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م) ص ١٢. البستاني، بطرس: أدباء العرب في الجاهلية وصدور الإسلام، ط١ (القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤م) ص ٢٢٦.

(٣) الرشيد، ناصر: سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام، ط١ (القاهرة: دار الأنصار، ١٩٧٧م) ص ٦٧.

(٤) هي إحدى حروب العرب في الجاهلية استمرت منذ سنة ٤٣ ق.م / ٥٨٠م حتى سنة ٣٣ ق.م / ٥٩٠م، وحصلت بين قبيلة كنانة (ومنها قريش) وبين قبائل قيس عيلان (ومنهم هوازن، وخطمان، وسليم، وثقيف، ومحارب، وعدوان، وفهم). وسميت بالفجار لما استحل فيه هذان الحيان من المحارم بينهم في الأشهر الحرم، ولما قطعوا فيه من الصلوات والأرحام بينهم، وقد قال الرسول ﷺ - عن تلك الحرب: "كنت أنبل على أعمامي؛ أي: أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها، وكان ﷺ - حينئذ ابن أربع عشرة أو خمس عشرة سنة. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: البداية والنهاية، ج ٢، د.ط. (بيروت: مكتبة المعارف، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) ص ٢٨٩.

(٥) الرشيد: سوق عكاظ، ص ٤٧.

ثالثاً: النشاط الزراعي، والرعي، والصيد، والجمع والالتقاط:

١- النشاط الزراعي:

أ- أهمية الزراعة ونظرة الإسلام إليها:

تعد الزراعة من المهن اللازمة لحياة البشرية، جاء في القرآن الكريم بعض الآيات التي تلفت انتباه الناس إلى ذلك، منها قوله تعالى: ﴿وَأَيُّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾^(١)، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُبْتِغُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾^(٢).

وأحاديث رسول الله - ﷺ - التي تبين وتفسر مراد القرآن تحت المسلمين على الزراعة وتبين منافعها وفضل الغرس والزرع، وتثبت الأجر لفاعله ما انتفع بذلك منتفع من إنسان، أو حيوان، أو طير، أو حشرة، ومن ذلك حديث أنس - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: "ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة"^(٣)، وقال ﷺ: "من نصب شجرة فصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر كان له في كل شيء يصاب من ثمرها صدقة"^(٤).

لقد عنى المسلمون عناية كبيرة بالزراعة، واهتموا بإصلاح طرق الري، وتحسين الغلة الزراعية، وإحياء الموات^(٥)، ولم تهمل الأرض في عصر من العصور الإسلامية برغم اشتغال المسلمين بالفتوحات، وتوطيد الأمن في البلاد؛ فضلاً عن اهتمامهم بالصناعة والتجارة. وتعتمد العديد من المدن الإسلامية على النشاط الزراعي لتوفير الأمن الاقتصادي لشعبها؛ فالزراعة عملية هامة تستطيع المدينة التي تتوافر فيها شروطها أن تكتفي ذاتياً من خلال هذا العمل كمدينة الطائف^(٦).

(١) سورة يس: الآية (٣٣-٣٥).

(٢) سورة النحل: الآية (١٠-١١).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، ط١ (دمشق: دار ابن كثير، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م) ص ٥٥٨.

(٤) ابن حنبل، أحمد: مسند الإمام أحمد ابن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ج ٢٧، ط ١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م) ص ١٢٩.

(٥) الموات: مالا حياة فيه. والأرض الموات هي التي لم تزرع ولم تعمر، ولا جرى عليها ملك أحد. الزمخشري، أبو القاسم: أساس البلاغة، ج ٢، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م) ص ٢٢٢. أنيس، إبراهيم، وآخرون: المعجم الوسيط، ط ٤ (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م) ص ٨٩١.

(٦) الشيباني، أبو عبد الله: الكسب، تحقيق: سهيل زكار، ط ١ (دمشق: عبد الهادي حرصوني، ١٤٠٠هـ) ص ٦٥. محمد بن، محمد وآخرون: دراسات في تاريخ الجزيرة العربية (الجزيرة العربية في عصر الرسول

ب- مقومات الزراعة في الطائف:**١ - المقومات الطبيعية:**

تعدّ المقومات الطبيعية إحدى ركائز قيام النشاط الزراعي وازدهاره في الطائف حيث حباها الله - جل وعلا - بمميزات طبيعية، عمل سكانها على استصلاحها وتنظيمها؛ مما جعلها تتفوق على نظيراتها من المدن الحجازية، وأولى هذه المقومات: المناخ الذي يؤثر في الإنتاج الزراعي وأكثرها تحكماً؛ إلا أن قدرة الإنسان على التحكم في هذا العامل محدودة للغاية، وتكاد تقتصر جهوده في هذا الصدد على التقليل من تأثير العناصر المناخية ومحاولة التكيف معها؛ حيث حرص سكان الطائف على مراعاة هذه الجوانب في الزراعة عند إقامتها للمشاريع الزراعية^(١). وأدى تباين درجات الحرارة من مكان لآخر إلى تقسيم الطائف لمناطق حرارية معينة لكل نوع خاص من الإنتاج الزراعي؛ ففي المناطق الدافئة تنمو المحاصيل التي تحتاج إلى درجات حرارية معتدلة: ينمو القمح والشعير والحنطة؛ بينما تنمو أشجار العرعر والسدر في المرتفعات الباردة. وتميزت الطائف بتنوع التضاريس والتربة، ومن ثمّ تنوعت المناطق الزراعية؛ فالتربة هي الطبقة السطحية من قشرة الأرض التي تكوّن نتيجة تحلل الصخور وتفتتها، ولا شك أنها تشكل عاملاً أساسياً في ازدهار الزراعة وتحديد نوع الحياة النباتية في أي مكان؛ حيث تؤثر التربة في اختيار نوع المحاصيل التي يمكن زراعتها في أية منطقة وتحديد مدى نموها؛ فالأراضي الطينية -مثلاً- تجود فيها زراعة الذرة؛ والأراضي ذات التربة الدبالية تجود فيها زراعة القمح والشعير كما هو في الأماكن المعتدلة في الطائف، وطبيعي أن يزداد الإنتاج من المحاصيل إذا زرعت في نطاقات التربة التي تلائمها^(٢). وتوجد مساحات معينة في المدينة عرفت بخصوبتها كما هو الحال في الأراضي السهلية والقريبة من الأودية، وتؤدي مظاهر السطح في الطائف من انبساط السهول إلى الجبال مرورا بالهضاب؛ إضافة إلى سفوح المناطق الجبلية دوراً في قيام الزراعة وازدهارها، وتكون عاملاً مساعداً على النشاط الزراعي، وقد تكون من معرقلاته؛ فالسهول -مثلاً- تعد أكثر ملائمة لهذا النشاط من الجهات الجبلية؛ ومن ثمّ تركّز السكان الذين يمارسون الزراعة بها. وتتوافر في التضاريس السهلية كل الظروف المساعدة للإنتاج

والخلفاء الراشدين)، تحرير: عبدالقادر محمود وآخرون، ج ٢، ط ١ (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م) ص ٣٢٠.

(١) النعيم، نورة: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي، ط ١ (الرياض: دار الشواف، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) ص ٢٨.

(٢) النعيم، نورة: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٩٥.

الزراعي؛ فاستواء السطح يساعد على حفظ التربة التي تتسم بجودتها وخصوبتها^(١). ولاختلاف درجة الارتفاع دور غير مباشر في نوعية الإنتاج الزراعي؛ فعامل الارتفاع عن مستوى سطح البحر يؤثر في درجة الحرارة التي بدورها تؤثر في نوعية المحصول الزراعي؛ فلكل محصول درجة حرارة خاصة تلائمه ناتجة من الارتفاع أو الانخفاض عن سطح البحر؛ فالمناطق المرتفعة تساعد على اعتدال الهواء لذلك تركزت بالطائف زراعة أنواع الفواكه كالكروم وغيرها. وفي المناطق متوسطة الارتفاع تنمو محاصيل القمح والشعير؛ بالإضافة إلى الواحات التي تمتاز باستوائها على سطح الأرض ووقوعها في إطار المناخ الحار؛ لذلك عرفت بها زراعة النخيل^(٢). وتشكل المياه عاملاً أساسياً من عوامل ازدهار الزراعة، واعتمدت الطائف على مصادر متنوعة من المياه، أساسها مياه الأمطار، والمياه الجوفية التي تكونت نتيجة لترسب المياه في باطن الأرض، فحفروا الآبار، وبنوا السدود، وحوطوا الأودية للاستفادة من المياه بأكبر قدر ممكن، وفيما يلي أهم الموارد المائية بالطائف:

أ- الأودية :

تعد الأودية من أهم مناطق الماء والخصب في الطائف، وذلك لوجود الماء الجوفي بها قريباً من سطح الأرض في الغالب، ويستخرج ذلك الماء عن طريق حفر الآبار في باطن تلك الأودية وأحياناً يخرج الماء إلى سطح الأرض من تلقاء نفسه ويسمى في تلك الحالة بماء العيون أو الينابيع، لذلك نجد في تلك الأودية مواضع عديدة خصبة ذات مزارع ونخيل منتشرة في معظم الأودية حيث إن تلك الأودية كانت مساليل ماء حفرتها مياه الأمطار والسيول التي تسقط على الجبال والهضاب والتلال في الطائف. وكان لتلك الأودية فضل في ظهور مواطن الحضارة في الطائف حيث قامت بها حضارة مستقرة؛ لذلك كانت الحضارة الطائفية عمادها الأول الزراعة وتربية الحيوانات ثم جاءت التجارة على منتجاتها الزراعية^(٣).

ب- الآبار:

كان لأهل الطائف بعض الطرق التي يعرفون بها ما في باطن الأرض من ماء، قبل أن يبدأ حفر الآبار وتعرف هذه الطرق عند العرب "علم الريافة" وهو معرفة استنباط الماء من باطن الأرض. ويعرفون ذلك بواسطة بعض الإشارات الدالة على وجوده، فهناك نباتات يدل وجودها على قرب الماء وعدوبته، كالتصّب، والحلفاء، واللين من الحشيش. أو بشم التراب، فإذا كان ريح التراب مثل ريح الطين المستخرج من السواقي والأنهار،

(١) النعيم، نورة: المرجع السابق، ص ٢٦.

(٢) معطي، علي: تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام، ط١ (بيروت: دار المنهل اللبناني، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م) ص ٢٨-٢٩.

(٣) صقر، نادية: الطائف في العصر الجاهلي، ص ٩.

أوحت المياه على أذرع يسيرة في عمق الأرض، وإن كانت غير ذلك فإن الماء بعيد، أو بحركة لحيوان ما وهو من فروع الفراسة، مثل قرى النمل فهي تدل على وجود الماء أو عدمه، فإن كانت النمل غلاظا سودا، ثقيلة المشي، دلت على قرب الماء، أو بالسماع بالأذن لدوي الرياح في باطن الأرض، والدوي يعقبه خريز الماء أو حفيفه في جوف الأرض^(١).

ج- السدود:

رغم اختلاف كمية سقوط الأمطار من عام لآخر، إلا إن حدوثها كان متوقع سنوياً وإن اختلفت فترة حدوثها من عام لآخر، كانت السيول تروي مساحات واسعة من الأراضي، ولا تحتاج إلى عناية ومتابعة كبيرة خاصة بعد انتهاء فترة الزراعة، ولا تحتاج إلى أسمدة حيث إن السيل يجلب معه طبقة جديدة من الطمي والطفل. ويخفف الري بمياه السيول من درجة ملوحة التربة الزراعية لأنها تكون خالية من الأملاح بعد غسيل ماء السيل لها^(٢). اعتمدت الزراعة في مدينة الطائف على نوع من أنواع أنظمة الري، وهو نظام الري بالسدود؛ والسد في اللغة هو "الحاجز بين الشئين"، والحجارة والصخور التي تبقي الماء في الوادي زماناً، وجمعه سدود، وسددة، وأسداد، فيقال: ضربت عليه الأرض بالأسداد؛ أي: سدت عليه الطرق، وعميت عليه المذاهب^(٣). ويعرف السد -أيضاً- بأنه "كل بناء يمنع فيض المياه الجارية أو السيول"، وهو نوعان: نوع يمنع جري المياه، ونوع آخر يمنع انحباسها ويعرف بالحاجز. ومصطلح السد في القطاع الزراعي هو "جدار ضخيم كان يبني في عرض الأودية لحجز مياه الأمطار والسيول والأنهار والينابيع ورفعها لري الحقول والبساتين المحيطة بها"^(٤). وقد عمد سكان الطائف إلى بناء السدود للحفاظ على المياه في أراضيهم التي رغبوها في تطوير زراعتها، فلم يتركوا واديا يمكن استثمار جانبيه بالماء إلا حجزوا ماءه بسد، فتكاثر السدود تكاثر الأودية، ولم تكن السدود على نسق واحد؛ بل بعضها كان بسيطاً ومؤقتاً، ويبني على الأودية الصغيرة الفرعية والشعاب، وتبنى من الأتربة والحجارة الصغيرة، وغالبا ما كانت تتجرف مع السيول في كثير من الأحيان؛ وأما بعضها الآخر فكان يقام على هيئة حرف (V) لحجز التربة والظمي المنجرف مع مياه السيول^(٥).

(١) النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٠١.

(٢) النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٩٦.

(٣) معلوف، لويس: المنجد في اللغة والأعلام، ط ١٩ (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، د.ت) ص ٢٣٦.

(٤) الشيباني، أبو عمرو: كتاب الجيم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ج ٢، د.ط (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م) ص ١١٦. البستاني، بطرس: دائرة المعرفة: قاموس عام لكل فن ومطلب، ج ٩، ط ١ (بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٨ م) ص ٥٣٠.

(5) Dayton.J.: the problem of climate change in the arabian peninsula PSAS , Vol.5 (london,IA: 1975) P54

النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٠٣ - ١٠٤. معطي، علي: تاريخ العرب الاقتصادي، ص ٧٧.

يذكر أن أشهر سدود الطائف سد السملقي الذي يقع على الجزء العلوي من وادي لية، وهو سد قديم ربما بني في فترة ما قبل الإسلام، وهو مليء بالكتابات العربية والكوفية المنقوشة على أحجاره، وما زال حتى الآن محافظاً على هيكله، وهو بطول (٢٠٠) متر، وبعرض (١٠) أمتار، ويمثل نموذجاً معمارياً ومهارة في البناء تشهد لبراعة فن البناء في الطائف^(١).

وتتشابه طريقة الزراعة في الطائف مع طرق الزراعة في اليمن القديم اعتماداً على الري باستخدام السدود؛ حيث تتشابه الظروف الجغرافية بين المنطقتين في طبيعتهما الجبلية، وضرورة المحافظة على مياه الأمطار عن طريق إقامة السدود. ونظراً لتلك الظروف المناخية والجغرافية فقد واجه السكان مياه السيول بتدبر شديد، فأقاموا لها سدوداً عديدة من الأحجار والصخور للسيطرة عليها؛ درءاً لأخطار اندفاعها المتوقعة على السكان أنفسهم وعلى مساكنهم الطينية؛ فهي غير قادرة على الصمود أمام المياه المندفعة بقوة وغزارة، وكذلك من أجل تحقيق الاستفادة القصوى من مياهها العذبة بدلاً من أن تضيع هباءً وتحويلها للأراضي المزروعة، ولأن مياه السيول الجارفة الناتجة عن الأمطار الموسمية والهابطة من قمم الجبال تكون محملة بالطيني والخصب وتخفي خلال ساعات^(٢). ولم تقتصر الموارد المائية بالطائف على ما ذكر؛ بل تنوعت وتعددت أشكالها كالعيون والغدران والأوشال والبرك والحياض والأعذاء والأحباس وغيرها من الموارد المائية بالطائف.

٢ - المقومات البشرية:

تعدّ المقومات البشرية أهم الركائز التي تعمل على نمو وتطوير الزراعة؛ إذ هي المصدر الرئيسي لحياة السكان؛ لذلك فقد سعى سكان الطائف إلى توفير اليد العاملة الزراعية، وأولوا عناية شديدة بالنشاط الزراعي لاعتماد اقتصاد المدينة بصفة أساسية على هذا القطاع، وتتكوّن اليد العاملة من العرب واليهود والموالي والرقيق؛ حيث كان لتدفق الأخير على اختلاف أجناسه دور كبير في تطويرها، وكما أن هؤلاء الرقيق استعملوا في مختلف الأعمال الزراعية، وأسهموا في تحسين أساليب الزراعة بخبرتهم ومعرفتهم التي اكتسبوها في بلادهم التي نقلوها فيما بعد إلى الطائف^(٣).

(١) الكناي، توفيق: الطائف قبل الإسلام من الألف الأول ق.م حتى أوائل القرن ٧م، رسالة دكتوراة غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م، ص ١٠٧.

(٢) بيوتروفسكي، م. ب.: اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة حتى العاشر الميلادي، ترجمة: محمد الشعبي، ط ٢ (صنعاء: الثريا للطباعة والإعلام والنشر، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م) ص ٩٣-٩٤. الكناي: المرجع السابق، ص ١٠٧.

(٣) السيف، عبد الله: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، ط ١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) ص ٤٦.

وتركز الثروة على كثرة اليد العاملة من سكان المدينة؛ حيث كانت معظم التركيبة السكانية من العاملين بالزراعة؛ مما يترتب عليه انتعاش حركة الزراعة داخل المدينة، وزيادة الحراك الاقتصادي، وتبادل السلع الزراعية خارج أسوار الطائف^(١).

يُعدُّ رأس المال وتوفير السيولة النقدية من أهم العوامل المساعدة على تطور اقتصاد مدينة الطائف؛ لذلك نجد أن المدينة اعتنت بتوفير رؤوس الأموال الزراعية، فقد تضخمت الثروات في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام نتيجة للاستثمارات المختلفة من سكان المدينة وأثرياء المدن والقرى المجاورة^(٢). واهتم - كذلك - سكان الطائف بالأمر المعنوية المساعدة على وفرة الإنتاج ورخائه؛ إذ ساعد استتباب الأمن خلال فترة صدر الإسلام على ازدهار الزراعة وتسويق المنتجات الزراعية؛ حيث أصبحت الطرق آمنة وتقل الأشخاص والسلع دون خوف، كذلك أسهموا أساساً في تحقيق العدل، وتقوى الله، والإحسان إلى أهل الأرض، وعدم ظلمهم وتحميلهم فوق طاقتهم، وضرورة العدل والأمانة في تقدير خراج الأرض وتثمين محاصيلها^(٣).

ج - أساليب الزراعة ووسائلها:

كان الفلاح الطائفي يستخدم المحراث الخشبي^(٤) ذي السكة الحديدية في حراثة الأرض وزراعتها، كما كان يستخدم آلات حديدية أخرى؛ كالمسحاة،^(٥) والفأس، والمنجل،^(٦) والمعول،^(٧) والمجرف في الحصاد، ويستخدم الحيلان^(٨) ووسائل أخرى في عملية الزراعة والمذرة في فصل التبن عن الحب، وكذلك كان المزارعون في الحقول المروية وحقول النخيل والكروم يستخدمون الحيوان في جر المحراث، وفي إخراج الماء من الآبار معتمدين في ذلك كله على وسائل وآلات حديدية^(٩). وكان المحراث عادة يستخدم في

(١) السوداني، صلاح: الحياة الاجتماعية في الحجاز، ص ٦٢.

(٢) القيسي، عاطف: ثقيف ودورها في التاريخ العربي الإسلامي، ص ٤٠.

(٣) الملاح، هاشم: الوسيط في تاريخ العرب، ص ٣٤٥.

(٤) الحراثة: العمل في الأرض زرعاً أو غرساً. والمحراث الخشبي: أداة لحراثة الأرض وقلب التربة وقلع الأشباب، تجره الحيوانات؛ كالبقر أو الحمير. ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، ج ٢، ط ٢ (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ) ص ١٣٥.

(٥) المسحاة: أداة للجرف والقشر. الفراهيدي، الخليل: العين، تحقيق: مهدي الخزومي، إبراهيم السامرائي، ج ١، د. ط. (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د. ت) ص ١٣٢. أنيس: المعجم الوسيط، ص ٤٢١.

(٦) المنجل: آلة يدوية لحش الكلاً أو لحصد الزرع. الفراهيدي: العين، ج ٤، ص ٢٧٠.

(٧) المعول: آلة حديدية ينقر بها الصخر. الزمخشري: أساس البلاغة، ج ١، ص ٥٥٢.

(٨) هي عملية فصل الجزء الصالح للأكل من حبوب النبات الحبية أو غيرها من المحاصيل عن القش الحشفي غير الصالح للأكل الذي يحيط به، هذه الخطوة في إعداد الحبوب تكون بعد الحصاد وقبل التذرية، ويفصل فيها القشر المفصول من الحبوب.

(٩) علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ط ١ (بيروت: مكتبة العلم للملايين، ١٩٧٧ م) ص ٢٤٢.

حراثة الأرض الواسعة؛ أما القطع الصغيرة فتحرث من قبل المزارع بالمعول والمسحاة^(١). وكان الفلاح الطائفي يعد أرضه إعداداً كافياً قبل زراعتها، فكان يحرثها قبل سقيها، ثم يحرثها مرة أخرى بعد عدة أيام من ريّها، وذلك قبل أن تحف قشرها الخارجية وتتشقّق، ثم يتركها أياماً معدودة ويحرثها بعدها للمرة الأخيرة، وهكذا حتى تصبح خصبة وصالحة لبذر البذور، وتعال الأراضي ذات التربة الزراعية الضعيفة غير السمكية اهتماماً خاصاً من الفلاح؛ ففي موسم الجفاف يحرث المزارع هذه الأراضي مرتين على الأقل، ويحضرها مسافة متر، ويقلب ترابها بالمعول، وقد يجلب لها المزيد من التربة من مناطق أخرى، ثم يحرثها على شكل شبكي، ثم يعيد حراستها في موسم الأمطار كي تمتص أكبر كمية من المياه، فيمنع ذلك جفاف قشرتها السطحية، وقد يضطر المزارع إلى الاستمرار في حرثها ليلاً ونهاراً لما للحراثة من أهمية في استغلال مياه الأمطار والسيول^(٢).

وبعد عملية الإعداد هذه تقسم الأراضي السهلية إلى قطع مستطيلة في المناطق التي تعتمد على السيول؛ أما المناطق التي تعتمد على المياه الجوفية فكانت الأراضي فيها تصمم على شكل أحواض مربعة أو مستطيلة، وتحفر في محيطها القنوات والجدول، ثم ينكش الفلاح ترابها بالمعول والمسحاة، ويذر الحبوب بيديه. وفي بعض الحالات كان يسير خلف المحراث مزارع آخر يتولى غرز الحبوب وطمرها في التراب، وقد يعلق بالمحراث قمع من الخشب يملأ بالحبوب، فتساقط الحبوب في التربة ثم تعمل سكة الحديد على طمرها بالتراب^(٣). وكانت عملية تسميد الأراضي تتم ما بين فترة وأخرى كي تحافظ الأرض على خصوبتها وإنتاجها، وكان روث الحيوانات من أهم أنواع السماد المستخدم آن ذاك، وقد يلجأ الفلاح أحياناً إلى إحراق بقايا النباتات والأعشاب اليابسة لتسميد أرضه^(٤).

د - أنظمة الري؛

اعتمد سكان الطائف على مياه الأمطار والسيول، وعلى الآبار والبرك والمياه الجوفية لري مزرعاتهم، واتبعوا أساليب شتى لجمع المياه وتخزينها وجرها إلى الحقول حيث

(١) يليايف، أي: العرب والاسلام والخلافة العربية في القرون الوسطى، ترجمة: أنيس فريجة، ط١ (بيروت: الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٢ م) ص ١١٢.

(٢) الإشبيلي، ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، تحقيق: أنور أبو سويلم وآخرون، ج ١، ط ١ (عمان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١٢ م) ص ٢٢١-٢٥٩. معطي: تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام، ص ٧٤.

(٣) الإشبيلي: الفلاحة الأندلسية، ج ١، ص ٢٢١-٢٥٩. معطي: تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام، ص ٧٥.

(٤) علي، جواد: مصطلحات الزراعة والري في كتابات المسند، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٢، ٢٦٤ (بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ص ٧٩-٨٢.

المزارع والبساتين، ومن هذه الأساليب ما يتسم بالبدائية والبساطة، ومنها ما يدل على البراعة والعلم والتطور^(١). في حالة المياه الجوفية كانت القناة الرئيسية تقسم على سطح الأرض إلى عدد من القنوات الفرعية يتناسب مع عدد من المزارعين المالكين لها، بحيث توزع المياه فيها وفقا لنظام الدور، فكان ينال كل مزارع وجبة كاملة تكون مدتها من الشروق إلى الغروب، أو من الغروب إلى الشروق بما يعادل اثنتي عشرة ساعة، وهكذا حتى يحصل جميع المالكين على وجباتهم من المياه، ثم يبدأ الدور من جديد^(٢).

أما الآبار التي تكون ملكيتها عامة فإن الماء فيها يوزع على المزارعين المشتركين بها بتحديد فترة زمنية لكل مزارع، وكذلك الحال في العيون فإن مياهها توزع بواسطة قناة رئيسية تمر في وسط الأراضي الزراعية، وتفتح مخارجها تباعا، فإذا ارتوت الأرض الأولى أغلق مخرجها ليفتح في مخرج الأرض التي تأتي بعدها، وهكذا حتى يتم ري جميع الأراضي الزراعية المجاورة^(٣). وكانت مياه السيول حق لجميع المزارعين، ومصدر إرواء -أولا- للحقول القريبة من مجراها، ثم الحقول التي تأتي بعدها، بحيث ينال جميع المالكين الذين تقع أراضيهم على جانبي مجرى السيل حقوقهم من الماء ولم يكن يسمح لأحد أن يدعي ملكية السيول، أو التحكم في مجراها، أو الاعتداء عليها وتخريبها، كما لم يكن يسمح للمالكين الجدد الذين استصلحوا أراضيهم وزرعوها أن يسقوا من هذه المياه إلا بعد أن يتم ري الأراضي المزروعة قبلها، وكان على المزارعين أن يستهلكوا من الماء ما يحتاجون إليه، وأن يفتحوا ثغرة في أسوار حقولهم لتصرف المياه للحقول التالية، وكانت تقدر حاجة الاستهلاك ببلوغ الماء ركبة الرجل أو كعبيه، أو قدر ذراع وذلك حتى تغمر المياه الحقل كله^(٤).

هـ - المحاصيل الزراعية :

أدى التنوع في المناخ والتضاريس الأرضية وخصوبة الأرض إلى انتشار الزراعة وتنوع المحاصيل الزراعية في المدينة، وأصبحت هذه المهنة من المهن التي تميزت بها الطائفت على سائر مدن الحجاز ونجد؛ ونتيجة لانتشار الزراعة على نطاق واسع فقد أصبحت الطائفت المكان الذي يسر الزائرين ويشرح قلوبهم، يقول الأصمعي: " دخلت الطائفت كأني أبشر وقلبي ينضح بالسرور، ولم أجد لذلك سببا إلا انفساح جوها وطيب

(١) ابن وحشية، أحمد: الفلاحة النبطية، تحقيق: توفيق فهد، ج ١، د.ط. (دمشق: المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٩٥ م) ص ٧٦-٨٧. معطي: تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام، ص ١٠١.

(٢) معطي: تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام، ص ١٠١ - ١٠٢.

(٣) النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة، ص ١٤٤.

(٤) معطي: تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام، ص ١٠٢.

نسيمها"^(١)، وكانت تنتج أنواعاً عديدة من المحاصيل الزراعية التي أسهمت في اكتفائها ذاتياً والتصدير لجارتها مكة المكرمة؛ فهي بستان مكة وأكثر فواكهها منها، يقول عنها ابن حوقل: "مدينة صغيرة نحو وادي القرى كثيرة الشجر والثمر، وأكثر ثمارها الزيت، وهي طيبة الهواء، وفواكه مكة ويقولها منها"^(٢)؛ لذا فقد بقيت الطائف من مخاليف مكة حيث كان لها حظ عند الخلفاء، وكان الخليفة يوليها رجلاً من عنده، ولا يجعل ولايتها إلى صاحب مكة^(٣)؛ ومن أهم ما تنتجه الطائف ما يلي:

١- الحبوب:

أ- الحنطة (القمح):

احتلت الحنطة مساحة كبيرة من المساحات المزروعة بالطائف لأنها الغذاء الأساسي لسكان الطائف وما جاورها، وساعدت التربة السوداء وجميع الإصلاحات الزراعية في المدينة على الدفع بهذه الزراعة قدماً؛ فازدادت بذلك كمية المحصول نتيجة تحسين وتكثيف الجهود والإصلاحات في الري، وانتقاء البذور، واختيار ذوي الخبرة والكفاءة لذلك. وكانت الحنطة غذاء الطبقة الموسرة المترفة في الطائف، وذلك لغلاء ثمنها بالنسبة للفقراء^(٤). والحنطة كانت الاسم الشائع للقمح عند العرب، وتزرع في الطائف في بطون الأودية وواحتها وفي مدرجات الجبال، وكانت تنتشر زراعتها طوال العام.

وقد تميزت الطائف بالحنطة اللقمية ذائعة الصيت التي شبهها العرب باللؤلؤ^(٥)، وتحملها العير إلى مكة كل موسم مع بضائع طائفية أخرى، وعليها - أيضاً - اعتمدت باقي الحواضر الحجازية^(٦).

ب - الشعير:

يحتل الشعير مكانة متميزة ضمن محاصيل الطائف، حيث يحتل المكانة الثانية بعد الحنطة من حيث المساحة المزروعة خاصة وأنه قادر على التأقلم مع الظروف الطبيعية القاسية كالحرارة المرتفعة أو المنخفضة. كما أنه لا يتطلب كميات كبيرة من

(١) القزويني، زكريا: آثار البلاد وأخبار العباد، د.ط. (بيروت: دار صادر، د.ت) ص ٩٧.

(٢) ابن حوقل، أبو القاسم: صورة الأرض، د.ط. (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢ م) ص ٣٩.

(٣) الفاكهي، أبو عبد الله: أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: عبد الملك الدهيش، ج ٢، ط ٢ (بيروت: دار خضر، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤ م) ص ١٩١.

(٤) الملاح، هاشم: الوسيط في تاريخ العرب، ص ٣٠٣.

(٥) ابن الجاور، جمال الدين: تاريخ المستبصر (صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز)، مراجعة: ممدوح حسن، د.ط. (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٦ م) ص ٣٦.

(٦) الأزرقى، أبو الوليد محمد: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: عبد الملك الدهيش، ط ١ (مكة: مكتبة الأسدي، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م) ص ٨٦٧.

المياه وعلى هذا الأساس فهو قادر على النمو في السهول والسفوح والأحواض الجبلية^(١). ونظراً للخصائص المذكورة أعلاه فإن الشعير يعدّ من بين المحاصيل الهامة خاصة وأنه يمثل طعاماً للإنسان وعلفاً للحيوانات المختلفة حيث تقدم حبوبه وأتبانته للخيل والبغال والحمير وغيرها من الحيوانات الأخرى^(٢). ويعد الشعير من السلع الطائفية التي صدرتها للمدن المجاورة لها، وهو أرخص ثمنًا وأقل قيمة من الحنطة (القمح)، وكان سكان الطائف يصنعون منه شراباً ينتبذه الناس في مناسباتهم^(٣).

ج- الذرة:

من الحبوب التي زرعها الفلاح الطائفي، ولها عدة أنواع: الأبيض، والأصفر والأحمر، وتعد الذرة البيضاء أكثر أنواع الذرة استخداماً بالطائف، وهي نبات حولي زراعي من فصيلة النجيليات ظهر في المناطق الأفريقية الحارة ومنها انتشر إلى بقية القارات ليستقر في المناطق الممتدة بين خطي عرض ٤٠ درجة شمالاً وجنوباً، حيث يحتاج إلى درجات حرارة لا تقل عن ١٠ درجات، وهو الحد الأدنى للإنبات كما يحتاج إلى كميات من المياه تقل عما تحتاجه الذرة الصفراء والحمراء؛ وذلك بحكم اختلاف طبيعتها من حيث كثافة وطول الجذور ومن حيث حجم الأوراق، حيث تتميز الذرة البيضاء بكثافة جذورها، وصغر أوراقها، مما يحد من التبخر ويساعدها على الانتشار في مساحات كبيرة في الطائف^(٤).

وكانت تطحن حبوبها وتستعمل في الخبز وعلفاً للماشية أحياناً، وكذلك أغصانها وأوراقها كانت تستخدم علفاً للماشية، وكان يُستخرج منه شراباً يسمّى (المزر أو المذر)^(٥).

٢- الفواكه:

تجمع مصادرننا على كثرة وتنوع الأشجار المثمرة بالطائف، وهذه الظاهرة تعود إلى تظافر عوامل طبيعية وبشرية. فأرض الطائف كما أوضحنا سابقاً تتمتع بتنوع مناخي وجغرافي فريد نتيجة ارتفاع أجزاء كبيرة منها عن سطح البحر وانخفاض أجزاء أخرى؛ لذلك تتواجد بها أشجار المناطق الحارة وأشجار المناطق المعتدلة.

هذا التنوع المناخي سمح لأهل الطائف منذ القدم بغراسة أصناف متنوعة من الأشجار المثمرة. وقد ورث أهل الطائف خبرة كبيرة بالأشجار المثمرة توارثتها الأجيال حتى عهد

(١) سعيد، محمد: الحياة الاقتصادية في اليمن في عهد بني رسول (٦٢٦-٨٥٨ هـ / ١٢٢٩-١٤٥٤ م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، ١٩٩٨ م، ص ٦٢٢.

(٢) سعيد: المرجع السابق، ص ٦٢٢.

(٣) اليحصبي، أبو الفضل: بغية الرائد فيما في حديث أم زرع من الفوائد، تحقيق: سعد عبدالغفار علي، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢ م) ص ٩٦.

(٤) سعيد: الحياة الاقتصادية في اليمن في عهد بني رسول، ص ٦٢٢.

(٥) اليحصبي: بغية الرائد فيما في حديث أم زرع من الفوائد، ص ٩٦.

الرسول - ﷺ - والخلفاء. ونتيجة لهذه العوامل المختلفة اشتهرت بلاد الطائف بتنوع أشجارها المثمرة كالموز والنخيل وهي من أشجار المناطق الحارة والعنب والزيتون والجوز وهي من أشجار المناطق المعتدلة. وكانت الطائف تنتج أنواعاً شتى من الفواكه التي كانت تملأ أسواق مكة؛ كالتين، والرمان، والسفرجل، والخوخ، والأترج، واللوز، والمقل، والبطيخ، والقثاء، والخيار، والبادنجان، واليقطين، والسلجم، والجزر، والكرنب، والبرشومي، والتوت، والبرقوق، والليمون، والرمان، والفرسك، وأنواع أخرى من الفاكهة^(١).

أ- التين:

وهو نبات بري اشتهرت به الطائف، وكان يسمّى قديماً بالحماط، وتكثر زراعته في الأودية، ومنه الأحمر، والأخضر، والأصفر^(٢).

ب - الكروم:

تأتي زراعة العنب^(٣) في مقدمة المحاصيل الزراعية التي تنتجها الطائف^(٤)؛ لما تمتاز به من مزايا تكاد تكون مثالية لزراعته وإنتاجه؛ فالعنب الطائفي ذو شهرة كبيرة نظراً لجودته العالية ولذته التي ميزته عن سواه، ويصفها ياقوت الحموي بقوله: " وفي أكنافها كروم على جوانب ذلك الجبل - غزوان - فيها من العنب العذب ما لا يوجد مثله في بلد من البلدان"^(٥)؛ ففي وهط عمرو بن العاص كرم كان يعرش على ألف ألف خشبة. وذكر المدائني أن سليمان بن عبد الملك لما حج مر بالطائف ورأى بيادر الزبيب قال: " ما هذه الحرار؟ فقالوا: ليست حراراً؛ ولكنها بيادر الزبيب، فقال: لله در

(١) ابن جبير، محمد: تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، د. ط. (بيروت: دار صادر، د. ت) ص ٩٧-٩٩. ابن بطوطة، محمد: تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: محمد العريان، ج ١، ط ١ (بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م) ص ٢٠٤. البلاذري: فتوح البلدان، ص ٦٧.

(٢) الملاح، هاشم: الوسيط في تاريخ العرب، ص ٣٠٢.

(٣) نزل قسي بن منبه - ثقيف - في وادي القرى على عجوز يهودية لا ولد لها فكان يعمل نهاراً، ويأوي إليها ليلاً، فاتخذته ولداً لها، واتخذها أما له، فلما حضرها الموت قالت له: يا هذا؛ إنه لا أحد ليغيرك، وقد أردت أن أكرمك لإطافك إياي؛ انظر إذا أنا مت وواريتني فخذ هذه الدنانير فانتفع بها، وخذ هذه القضبان - قضبان العنب - فإذا نزلت واديا تقدر فيه على الماء فأغرسها؛ فإني أرجو أن تنال من ذلك فلاحاً بيننا، ففعل ما أمرته به، فلما ماتت دفنها وأخذ الدنانير والقضبان، ومضى سائراً في الأريعاء حتى نزل وج، وغرس تلك القضبان بواديها فنبتت، فلما أثمرت قالوا: قاتله الله كيف ثقف عامراً - عامر بن الطرب العدواني ممن نزل بالطائف - حتى بلغ منه ما بلغ، وكيف ثقف هذه العيدان حتى جاء منها ما جاء، فسمي ثقيفا من يومئذ. ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٨٦.

(٤) ارتبط عنب الطائف بقصة الرسول - ﷺ - في الطائف فبعد أن كذبوه وسفهوه وسلطوا عليه سفهاءهم لجأ إلى بساينهم يستظل تحتها، فكان عنب الطائف ظله، فقدم له مزارع ذلك البستان وهو غلام يدعى عداساً قطفاً من العنب ودار بينه وبين رسول الله - ﷺ - حوار انتهى بإسلامه. ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٦٩-٧٠.

(٥) ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٩.

قسي -ثقيف- بأي أرض وضع سهامه، وأي أرض مهد عش فروخه^(١)؛ فالطائف أكثر بلاد الله عنباً^(٢)، واختلفت أصنافه، فمنه الأبيض، والرمادي، والجرشي، والإقماعي العربي، والإقماعي الفارسي، والتبوكي، والرعاء، والرازقي، وأم حبيب والضروع، والنواسي، وحبله عمرو، والدوالي، والشامي، والإطراف^(٣)، والغريب^(٤) والحمنان^(٥) والأسود الأغبر، والجاووش^(٦)، ومعظم هذه الأنواع غير موجود الآن؛ فلم يعد يزرع منها سوى الأبيض والأسود^(٧).

ج- السدر:

وبالطائف سدر ليس له مثل في بلاد العرب، وكان الصحابة يعجبون بوادي وج؛ حيث كان وافر الظلال، كثير أشجار الطلح والسدر، وكانوا يسمعون عن الجنة ووصفها ونعيمها، فقالوا: يا ليت لنا في الجنة مثل هذا الوادي، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾^(٨) في سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُورٍ ﴿٢٩﴾ واصفا لهم ما في الجنة من نعيم يفوق ما يتمنونه^(٩).
ومن السدر يخرج ثمر النبق، وهو ثمر محبوب حلو الطعم، ويشبه العناب لونا وحجما؛ وفي المستبصر: "وكل نبق يغرس في هذه البلاد -الطائف- يطلع مكتسبي"^(١٠).

(١) ياقوت: المصدر السابق، ج ٤، ص ١١.

(٢) الحميري، محمد: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط ٢ (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤ م) ص ٣٧٩-٣٨٠.

(٣) وردت وأوصاف هذه الأنواع عند الدينوري فيقول: "فأما الجرشي فأبيض صفار الحب، وهو أول العنب إدراكا، وأما الإقماعي العربي فأبيض عظام الحبة، كثير الماء؛ وأما الإقماعي الفارسي فأعظم حبا من العربي، وأقل ماء، وأكثر شحما. وأما التبوكي فأبيض، قليل الماء نجوا من عظم الإقماعي ينشق حبه على شجره؛ وأما الرعاء فبيضاء طويلة الحب، متسلسلة العناقيد؛ وأما الرازقي فأبيض داخلته زرقه، طوال الحب؛ وأما الضروع فأبيض أطول العنب حبا وأقله حبة؛ وأما النواسي فأبيض الحب متسلسل العناقيد؛ وأما أم حبيب فسوداء زرقاء تعظم عناقيدها، ويعظم حبها؛ وأما حبله عمرو فبيضاء محددة الأطراف، متداخلة العناقيد؛ وأما الدوالي فأسود يضرب إلى الحمرة، عظام الحب؛ وأما الشامي فأبيض؛ وأما الأطراف فأبيض طوال رفاق. الدينوري، ابن قتيبة: الجرائيم، تحقيق: محمد الحميدي، ج ٢، د. ط. دمشق: وزارة الثقافة، د. ت. ص ٨٦-٨٨.

(٤) العنب الغريب: نوع جيد من العنب، وهو شديد السواد. الدماميني، بدر الدين: مصابيح الجامع، تحقيق: نور الدين طالب، ج ٨، ط ١ (سوريا: دار النوادر، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٩ م) ص ٣٦٢. أنيس: المعجم الوسيط، ص ٦٤٨.

(٥) العنب الحمنان: ضرب من عنب الطائف أسود مائل إلى الحمرة، حبه صغير وقليل. الدينوري: الجرائيم، ج ٢، ص ٨٨. أنيس: المرجع السابق، ص ٢٠٠.

(٦) صادق، محمد: دليل الحج للوارد من مكة والمدينة من كل فج، ط ١ (بولاق: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣١٣ هـ / ١٨٩٦ م) ص ٨١.

(٧) العمري، صقر: المناخ وزراعة العنب في الطائف، مجلة الرسالة، ع ٢٢٥ (الكويت: جامعة الكويت، ١٩٩٩ م) ص ١٢.

(٨) سورة الواقعة: الآية (٢٧-٢٩).

(٩) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ٢٠، ص ١٩٣.

(١٠) ابن الجاور: تاريخ المستبصر، ص ٣٦.

د- النخيل (التمور):

حكمت الظروف المناخية والتضاريسية الخاصة بالطائف على أشجار النخيل أن تتواجد في مناطق معينة دون أخرى أي حيث تتوفر التربة الملائمة والحرارة الضرورية ومياه الري، وهي معطيات تتوفر في سهول الطائف. وتعد التمور من أهم المحاصيل الزراعية بالطائف، وتميزت تمورها بالجودة نظراً لملاءمة التربة والمناخ لنموها، وكان للنخيل عناية خاصة عند سكان الطائف، فمنها يحصل المزارع على الغذاء، ومن النوى علفاً للابل، ومن جذوعها تتخذ الأسقف والأبواب، ومن سعفها وخصوها تصنع الحصر والأوعية المختلفة. وامتازت مطار إحدى قرى الطائف بزراعة النخيل؛ ففيها "نخل مرطب، ونخل يصرم، ونخل مبسر^(١)، ونخل يلحق"^(٢)، يجنى تمره ويؤكل وهو في غاية الطيب واللذابة، طري وممتلئ يوحل في الضرس^(٣)، وكذلك كانت عكاظ أحد أعمال الطائف أرضاً ذات نخل كثير^(٤).

٣- الخضروات:

إلى جانب الفواكه كانت تزرع الخضروات بالطائف، وأهم أنواعها: الكراث، والخس، والسلجم، والجزر، والكرنب، والقثاء، والكزبرة، والبادنجان، والثوم، والزيتون، والسمسق؛ إلى جانب الرياحين العبقة والأزهار والمشمومات العطرة؛ فقد عرفت الطائف بزراعة نباتات الزهور التي يستخرج منها ماء الورد؛ مثل قرية المليساء إحدى قرى الطائف التي اشتهرت -أيضاً- بزراعة السفرجل المعروف بجودته، والرمان المليسي^(٥).

٤- نباتات أخرى:

تنمو بالطائف أشجار ونباتات مختلفة كأشجار الطرف والسماق، وكانت تنمو تلك الأشجار في الأودية والأرض السهلية؛ ونبات السماق حب صغير، وأهل الحجاز يسمونه الضمخ، ويستخدمه الصباغون في تسميق الثياب^(٦) وأشجار الحناء، وهو نبات معروف ينمو في جبال الطائف، وتستخدم سيقانه في صناعة السلال، وكذلك أوراقه في الصباغة؛ وأشجار القرظ، وهو شجر عظيم الانتشار في الطائف، وينبت في قيعان

(١) النخل المبسر: صار النخل مبسراً؛ أي: إنه لم ينضج بعد. أنيس: المعجم الوسيط، ص ٥٥.

(٢) الحميري: الروض المعطار، ص ٥٤٣.

(٣) ابن جبير: تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، ص ٩٩.

(٤) ابن الجاور: تاريخ المستبصر، ص ٣٦.

(٥) ابن منظور، جمال الدين: نثار الأزهار في الليل والنهار، ط ١ (قسطنطينية: مطبعة الجوائب، ١٢٩٨ هـ) ص ١٥٧.

(٦) الإشبيلي، أبو الخير: كتاب عمدة الطبيب في معرفة النبات لكل لبيب، تحقيق: خ. بوساماتي، ج ١، ط ١.

(مدير: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، ٢٠٠٤ م) ٥١١.

الأودية، وارتفاعه بين مترين أو ثلاثة أمتار، وترعى الأغنام أوراقه، وتستعمل ثماره في الدباغة^(١)؛ وكذلك أشجار السرو^(٢)، وشجر العرعر^(٣)، وأشجار السنط.

و- أثر الآفات والضن على الزراعة:

أ- الآفات:

على الرغم من نمو الزراعة في الطائف إلا أنها تتعرض كغيرها لمخاطر بيئية وبشرية، ومن المخاطر الطبيعية: الجفاف وانحباس المطر لفترات طويلة، وما يتبع ذلك من قحط ويباس للمزروعات، وتدهور في الإنتاج؛ ومنها تعرض النباتات للآفات الزراعية، وما نتج عنها من كوارث أضرت بالمزارعين كالجراد. وتأتي أسراب الجراد لتجتاح الحقول وتآكل الثمار، ثم تضع بيضها في الأرض ويخرج عند حرثه، ولعله من أشرس الآفات الزراعية وأكثرها تأثيراً، وكذلك الجرذ يفسد الحرث والنخل، وذلك بقطف السنبل وادخاره في جحره وقطع شماريخ السبر. والفأر - أيضاً - يهلك الأرض لكثرة التحفار والحجرة وكذلك القروود حيث إن جبال السروات مأوى للقروود التي تعد من أكثر الحيوانات إفساداً للمحاصيل^(٤).

وهناك أنواع من الديدان والحشرات التي تصيب الحرث والزرع؛ كدودة الورق، وديدان الحبوب والمن، والذبابة البيضاء، وثاقبات الذرة، وذبابة الفاكهة، وناخرات الأخشاب، والحفارات، وأنواع السوس والخنافس وغيرها^(٥). ومن المخاطر الطبيعية - أيضاً - الفيضانات التي تسببها السيول المنحدرة من الجبال التي يعجز الفلاحون عن تقاديبها في كثير من الأحيان، ولا شك أن الطائف قد عانت كغيرها من مشكلة زحف الرمال على الأراضي الزراعية؛ مما يهدد الغطاء النباتي، ويحد من نشاط الزراعة.

ب- طرق مكافحة الآفات الزراعية:

وكما برع أهل الطائف بالزراعة فقد استحدثوا طرقاً لمكافحة كل ما من شأنه أن يلوّث الحقول ويضر المحاصيل؛ فأخذوا طرقاً كانت تمارس في اليمن منذ القدم لمكافحة الأمراض والآفات الزراعية؛ فقد اهتم المزارع - أولاً - بالتربة واعتاد على تقليبها بين

(١) الإشبيلي: المصدر السابق، ٤٧٨.

(٢) الأصمعي، أبو سعيد: كتاب النبات والشجر، جمع وتحقيق: أوغست هفتر، د.ط. (بيروت: المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين، ١٨٩٨م) ص ٤٣.

(٣) الأصمعي: كتاب النبات والشجر، ص ٤٣.

(٤) الدينوري، أبو حنيفة: كتاب النبات، تحقيق: برنهارد لفين، ج ٢٦، د.ط. (فيسبادن: فرانز شتاينر فيسبادن، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) ص ٣.

(٥) الحفيظ، عماد: استخدام النباتات الطبية في مكافحة الآفات الزراعية والمنزلية، مجلة المورد، مج ٢١، ع ٢٤ (بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٩٣م)

الفينة والأخرى للقضاء على الآفات بتعريضها للظروف الجوية غير الملائمة لها؛ إضافة إلى التخلص من الحشائش الضارة النامية في الحقول، وكفاح أهل الطائف الطيور الضارة بالمحاصيل بصيدها بالشباك، أو بإحداث ضوضاء تجبرها على الهروب، وتدمير أوكارها وأعشاشها، وزراعة محاصيل غير اقتصادية حول المحاصيل الهامة لكي تتغذى عليها، وحرصوا - كذلك - على عدم تخزين الحبوب في العراء. كما كانوا يستخدمون الدقيق والخبز بالسمن وخلطها بالسموم، ووضعها للقوارض والحيوانات المضرة بالمحاصيل، واستخدموا ثمرة الحنظل لقتل البراغيث والهومام. (١) كما استجلبوا النمل الصحراوي المفترس للقضاء على أنواع الحشرات التي تصيب النخل والتمر، وبخروا بالكزبرة للتخلص من العقارب والحيات (٢).

ج - الفتن:

وقعت أزمة اقتصادية في شبه الجزيرة العربية وعمت منطقة الحجاز وما حولها بما فيها مدينة الطائف، وسميت هذه الأزمة بعام الرمادة، وكانت في آخر السنة السابعة عشرة وأوائل السنة الثامنة عشرة من الهجرة (٦٣٩ م)، بما يوافق السنة الخامسة من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٣)؛ فأنعمت الأمطار، وجف الزرع، وهلكت المشية، وبلغت المجاعة في عام الرمادة حداً كبيراً أصاب الناس بعموم الحجاز حتى جعلت الوحوش تأوي إلى الإنس، ويذبح الرجل الشاة فيعافها من قبحها، وأكل بعض الناس جلد الميتة مشوية، وكانوا يسحقون العظام ويسفونها (٤)، وكان لذلك تبعات وآثار اقتصادية امتد أثرها إلى الأسواق؛ فلم يبق فيها ما يباع ويشترى، وأصبحت الأموال في أيدي أصحابها لا قيمة لها؛ إذ لا يجدون لقاءها ما يسد رمقهم، فكان الناس يحفرون أنفاق اليرابيع والجرذان ويخرجون ما فيها.

وكان أهل الحاضرة أحسن من غيرهم حالاً أول العهد بالمجاعة، ولأن أهل الطائف حضر فقد أدخر أهلها في معظم الأوقات ما اعتاد أهل الحضر على أدخاره، فلما بدأ الجذب جعلوا يخرجون ما أدخروا ليقتاتوا عليه.

كما أدت المجاعة إلى ضعف الإنتاج الحيواني، فضعفت المشية، وهلكت الأغنام، ووقع الموت في الناس حتى إن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان يصلي على عشرة

(١) مراد، بركات: مآثر العرب والمسلمين في ميدان الفلاحة والري وحرث الأرض ومكافحة الآفات، مجلة الوعي الإسلامي، س ٤٨، ع ٥٥٦ (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٢ هـ / ٢٠١١ م) ص ٣٩.

(٢) مراد: مآثر العرب والمسلمين في ميدان الفلاحة، ص ٤٠.

(٣) الطبري، أبو جعفر: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ٤، ط ٢ (القاهرة: دار المعارف، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م) ص ٩٦.

(٤) ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٤، ص ٢٤٨.

أفراد في وقت واحد^(١).

ز - ملكية الأراضي الزراعية :

ظهرت الملكيات الفردية والخاصة في المجتمعات المستقرة سواء في المدن أو الواحات؛ مثل: مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والطائف، وتعتبر الملكيات الخاصة عن "تمكّن الإنسان شرعاً بنفسه أو نيابة من الانتفاع بالعين أو بالمنفعة، ومن أخذ العوض، أو تمكنه من الانتفاع خاصة".

وتعرّف -أيضاً- على أنها: "الاختصاص بحياسة الشيء شرعاً اختصاصاً يبيح للإنسان التصرف في الشيء أو المال"^(٢). وقد امتلك أثرياء قريش أراضي خاصة بالطائف؛ كأبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية (٢هـ / ٦٢٣م) أحد كبار تجار قريش؛ فقد امتلك عدة ضياع أكبرها ضيعة الضريبة في الطائف^(٣)، كما امتلك عمرو بن العاص (٤٢هـ / ٦٦٤م)^(٤) ضيعة خصيبة كان لها كرمٌ كبيرٌ مزروعٌ بالغنّب يقال له: الوهط قرب وادي وج؛ فضلاً عن امتلاك عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- (٢٣هـ / ٦٤٤م) ثاني الخلفاء الراشدين لأراضٍ فيها^(٥)، وامتلك عباس بن المطلب (٢٢هـ / ٦٥٣م) حديقة بالطائف مزروعة بالكرومة يُستفيد من إنتاجها في كسر ملوحة ماء مكة لسقاية الحجيج^(٦)؛ والوليد بن المغيرة (١هـ / ٦٢٢م)^(٧) الذي امتلك هو الآخر أرضاً في الطائف، وتشير بعض الروايات إلى رجال أعمال مكين امتلكوا أراضي في وادي نخب^(٨).

ومن أبرز أثرياء الطائف الذين تملكوا الضياع والأراضي: الحكم بن أبي العاص الثقفي (٣١هـ / ٦٥١م)، وأخوه عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه (٥١هـ / ٦٧١م)^(٩)، ونافع بن النضر الثقفي (٤٩هـ / ٦٧٠م) وأخوه نافع أبو بكر

-
- (١) ابن شبة، عمر: تاريخ المدينة، تحقيق: فهم شلتوت، ج ٢، د. ط. (جدة: د.م، ١٣٩٩هـ) ص ٧٢٦-٧٢٩.
- (٢) الخياط، عبدالعزيز: مقاصد الشريعة وأصول الفقه، ط١ (عمّان: البنك الإسلامي الأردني، ٢٠٠٠م) ص ٥٠-٢٥.
- (٣) ابن عساکر، علي: تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ج ٢٥، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ / ٢٠١٢م) ص ٨٢.
- (٤) صحابي جليل، أسلم في السنة الثامنة، وهو من دهاة العرب، فتحت مصر على يده، وأدخلت ضمن نطاق الأمصار الإسلامية. ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٥، ص ١٨٨.
- (٥) البلاذري، أحمد: جمل من أنساب الأشراف، حققه: سهيل زكار وآخرون، ج ١٠، ط ١ (بيروت: دار الفكر، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) ص ٢١٥.
- (٦) عم الرسول ﷺ - وأحد صحابته الكرام، ومن رواة الحديث. المكي، أبو الطيب: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: نخبة من هيئة كبار العلماء، ج ٢، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م) ص ١٠٨.
- (٧) القيسي: تقييد ودورها في التاريخ العربي والإسلامي، ص ٤١.
- (٨) القيسي: المرجع السابق، ص ٣٩.
- (٩) عثمان بن أبي العاص الثقفي، وفد على النبي ﷺ - في وفد تقييد وهو ابن سبعة وعشرين عاماً، وهو

(٥١ هـ / ٦٧١ م) ^(١)، والمغيرة بن شعبة (٥٠ هـ / ٦٧٠ م) ^(٢). وعلى اعتبار أن الطائف من الأراضي التي أسلم أهلها وهم عليها ولم تؤخذ منهم عنوة ^(٣)؛ فهي من الأراضي العشرية؛ أي: إنها من الأراضي الزراعية التي يجب فيها إخراج العشر فيما يخرج من ريعها من زكاة الزروع أو زكاة الثمار، ولا يمكن تحويل الأراضي العشرية لأراض خراجية، وكان المبدأ "أن القوم إذا أسلموا أحرزوا دماءهم وأموالهم"، "ومن أسلم على شيء فهو له"، وهناك نص سأل فيه أمير المؤمنين عن قوم من أهل الحرب أسلموا على أنفسهم وأرضهم، ما الحكم في ذلك؟ قيل: "إن دماءهم حرام، وما أسلموا عليه من أموالهم فلهم، وكذلك أرضهم، وهي أرض عشرية بمنزلة المدينة؛ حيث أسلم أهلها مع الرسول ﷺ، وكانت أرضهم أرض عشر، وكذلك الطائف والبحران، وكذلك أهل البادية إذا أسلموا على مياهم وبلادهم فلهم ما أسلموا عليه" ^(٤)، وما دامت الأرض صالحة للزراعة تبقى ملكيتها لأصحابها ملكية خالصة يتوارثونها ويتبايعونها.

٢- النشاط الرعي:

أ- رعي الماشية وتربية الحيوانات:

يمثل الرعي أحد أهم الموارد الاقتصادية في الطائف، وكان رعي الإبل النوع الأساسي من الرعي في الأماكن التي يقل بها العشب في المناطق الموغلة في الصحراء حيث يندر الماء؛ أما الأماكن الغنية بالعشب والقريبة من الماء والواقعة على حواف السهول الزراعية فكان يكثر بها رعي الغنم إلى جانب الإبل والخيول، وفصائل أخرى من الماشية ^(٥). وبشكل رعاة الماشية إحدى شرائح المجتمع الطائفي التي تكسب رزقها عن طريق ممارسة هذه المهنة، ويتعذر تقدير حجم العاملين في الرعي، فجاءت الإشارة إليهم في المصادر قليلة؛ لكننا مع ذلك نعتقد بوجود عدد كبير منهم نظراً لأهميتها في مجتمع الطائف. وكانت

أصغرهم فأسلم، واستعمله رسول الله ﷺ - على الطائف. فلم يزل عليها حياة رسول الله ﷺ، وخلافة أبي بكر رضي الله عنه، وستين من خلافة عمر رضي الله عنه، ثم عزله عمر - رضي الله عنه - وولاه سنة (١٥ هـ / ٦٢٧ م) على عمان والبحرين، وسار إلى عمان، ووجه أخاه الحكم بن أبي العاص إلى البحرين، وسار هو إلى توج ففتحها ومصرها، وقتل ملكها شهرک، وذلك سنة إحدى وعشرين، واستمر في البحرين إلى أن آلت الخلافة لعثمان بن عفان فعزله، فسكن البصرة حتى مات بها في خلافة معاوية. العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ٢٧٢. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص ٢٨٢-٢٨٣.

(١) البلاذري: جمل من أنساب الأشراف، ج ١٠، ص ٢٨٦.

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص ١١٦٢.

(٣) أبو داود، سليمان: سنن أبي داود، تحقيق: محمد الخالدي، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ص ٤٩٦.

(٤) أبو يوسف، يعقوب: الخراج، د. ط (بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ م) ص ٥٩-٦٠.

(٥) حمودة: عبد الحميد: تاريخ العرب قبل الإسلام، ط ١ (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦ م)

الإبل والأغنام أهم مقاييس الثروة والجاه^(١). ويعد الجمل من الحيوانات الأهلية الهامة التي تستعمل لأغراض شتى وخاصة حمل الأثقال وقطع المسافات الطوال ولو كان ذلك عبر الصحراء ولهذا عرف الجمل بسفينة الصحراء. وإضافة إلى ذلك فإن الجمل يوفر لصاحبه مواد عديدة كاللحم واللبن والوبر الذي لا غنى عنه في صناعة خيام البدو، وهذا إلى جانب الجلد وحتى الروث الذي يستعمله البدو للوقود عندما لا تتوفر المواد الأخرى.

الطائف من الأماكن المشهورة بتربية الجمال باعتبارها جزءاً من شبه الجزيرة العربية التي عرفت استعمال هذا الحيوان منذ أقدم العصور. فقد كان له حضور مكثف في مختلف الأنشطة الفلاحية والتجارية. فأما الاستعمالات الفلاحية فعديدة ومنها الحراثة واستخراج المياه من الآبار العميقة، كما استخدمت الإبل في حمل الأثقال لقطع المسافات الطويلة وخاصة الصحراوية، واستخدمت في هذا المجال الأصناف المؤهلة أكثر من غيرها على تحمل المشاق، فكانت تقطع البلاد من شمالها إلى جنوبها حاملة السلع التجارية المختلفة من الطائف إليها.

نظراً لهذه الاستعمالات المتعددة إضافة إلى الإستعمال الغذائي -اللحوم والألبان- فإن الإبل كانت تحظى بمكانة مرموقة في جزيرة العرب عامة وفي المناطق السهلية خاصة، وكانت تستحب وتعتبر من أجل الأموال. وكان بالطائف كم غفير من الإبل، والدليل على ذلك أن الرسول ﷺ - غنم من أهل الطائف ما يقارب أربعة وعشرين ألف بغير^(٢)، وكان الرعاة يقصدون بإبلهم مراعي معينة تساعدهم في إدرار اللبن، وتزيد لحمها طعماً كنبات العصل^(٣).

ورعي الأغنام -أيضاً- من الحرف الأساسية في الطائف، ويؤكد ذلك البلاذري بقوله: "ونزل قسي بن منبه بن أفصى بن دعمى بن إباد موضعاً قريباً من الطائف، فرأى جارية ترعى غنماً"^(٤)؛ لذلك كانت الغنم تمثل إحدى ثروات أهل الطائف، فقد كان العرب يعتمدون في غذائهم بالدرجة الأولى على اللبن ومصدره الأول الغنم؛ إضافة إلى اعتمادهم على لحومها، كما كانوا يعتمدون على أصوافها في نسيج الملابس والبيوت. وكانت الطائف وما حولها من المناطق المشهودة برعي الأغنام وكثرتها حتى إن رسول

(١) الملاح: الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٢٤.

(٢) ابن سعد، محمد: كتاب الطبقات الكبير، تحقيق: علي محمد عمر، ج ٢، ط ١ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م) ص ١٤١.

(٣) نبات العصل: شجر يشبه الدفلى، تأكله الإبل وتشرب عليه الماء كل يوم، وقيل: هو حمض ينبت على المياه. ابن منظور: لسان العرب، ج ١١، ص ٤٥٠.

(٤) ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٠.

اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - غنم من أهلها ما يقرب من أربعين ألفاً من الغنم^(١)، وهذا العدد يبين لنا ضخامة ما كان بالطائف من أغنام؛ وإلى جانب الإبل والغنم وجدت تربية الأبقار؛ لكنها لم تكن بكمية الإبل والغنم. وكانت الأغنام أكثر انتشاراً مقارنة بالإبل والأبقار؛ نظراً لانخفاض أثمانها وسهولة تربيتها مقارنة بالصنفين المذكورين، كما أن الإقبال على استهلاك لحومها يفسر كثرتها، حيث تحتل لحوم الأغنام المرتبة الأولى ضمن اللحوم المستهولة في الطائف.

والأبقار من أهم أصناف الدواب في الطائف نظراً لتنوع استعمالاتها كحيوانات للجر وكمصدر للحليب واللحوم والجلود ومادة للوقود. على أن الإقبال على تربية الأغنام والأبقار لم يكن من أجل لحومها وألبانها فقط بل أن جلودها أيضاً كانت مادة ثمينة في بلاد اشتهرت بدباغة الجلود والصناعات الجلدية. وكانت الأبقار تستعمل في حراثة الأرض، وتستعمل أرواتها للتسميد خاصة وأن الأسلوب الزراعي السائد هو أسلوب الزراعة الجاهدة التي تتطلب عدداً كبيراً من أيام العمل واستعمالاً مكثفاً للأسمدة.

وللخيول - أيضاً - مكانة متميزة في السلم والحرب والتجارة وفي الحياة اليومية، فقد حرص أهل الطائف على إنتاجها ووفرتها، وحرص السكان على انتقاء الجياد العتاق منها بالشراء أو الإنتاج. وشكلت البغال والحمير إلى جانب الخيل والإبل الوسيلة الأساسية للتنقل وحمل الأثقال وخاصة في المناطق الصعبة التي تصعب على الإبل والخيل. إلى جانب ذلك فإن امتلاك واستعمال البغال والحمير لا يخلو من مدلولات اجتماعية؛ نظراً لاختلاف قيمتها المادية حيث استعملت البغال للركوب من قبل الأثرياء أكثر من الحمير التي استعملت بالخصوص من قبل الفئات الضعيفة^(٢).

ب - الصيد:

يمثل الصيد لأهل الطائف وأثرياء مكة المكرمة رياضة يتسلى بها هواتها من ناحية، كما أنها كانت توفر لهم غذاءً لذيذاً من ناحية أخرى؛ إلا أنه كان بالدرجة الأولى بقصد المعاش والاستفادة من لحوم الصيد، وذلك لحاجة أهل ذلك الزمان إلى الصيد مصدراً من مصادر العيش لكثير من الناس، كما كان هناك من الناس من يصيدون الوحوش إما لدفع ضرر عن رعاياهم، أو للتباهي بذلك بين الناس، وقد وردت آيات كثيرة في إباحة الصيد، يقول عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَبَّوْكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ

(١) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج ٢، ص ١٤١

(٢) لشوري، أمال: الحرف والمهن في الدولة الإسلامية في العهدين النبوي والراشدي، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة ٨ ماي ١٩٤٥، قائمة، ١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧ م، ص ٤٦.

تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ۚ فَمَن أَعَدَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ ﴿١﴾

وقد اعتاد هواة الصيد على الخروج إليه مبكرين، يحملون سلاحهم وأدوات الصيد، وأبرزها: القوس، والسهم، والنبل، والجوارح من الطيور كالصقور والبزاة في صيد الطيور، وكلاب الصيد والفهود لصيد الغزلان وحمر الوحش، كما كانوا يستخدمون الحبائل المصنوعة من الليف أو ما شابهه وينصبونها ^(٢) في أماكن الصيد، ويتجه هواة الصيد إلى نواحي الطائف وما حولها من جبال تكثر بها الغابات حيث توجد الحيوانات والطيور المختلفة ^(٣)، ويكثر الصيد في جبل غزوان حيث كان الوجهة المفضلة لهواة الصيد آن ذاك ^(٤)، ويتمثل صيدهم في الطيور، والغزلان، والأرانب، والظباء.

ومن وسائل الصيد الجlahق وتتكون من قوس يرمى به البندق والبندق كرات صغيرة تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص، وترمى بالأقواس كما ترمى النبال. ولقد ظهرت في أواخر خلافة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، وعدوا ظهورها منكرًا ^(٥). حتى ألفها الناس، ثم استمروا في استعمالها وتحسينها حتى أصبحت إحدى وسائل الصيد المعروفة في الطائف.

٣- الجمع والالتقاط :

يعد هذا النمط المعيشي من أقدم الأساليب التي اعتمدها سكان الطائف في الحصول على ما يحتاجونه؛ حيث تثبت النباتات والثمار البرية في الوسط المحيط بهم تلقائياً، ومن غير أن يكون لهم أي دور أو جهد في إنتاج هذه النباتات أو تكاثرها، وبسبب عدم حاجتهم إلى أدوات خاصة؛ إذ يستطيعون القيام بذلك باليد المجردة، أو بواسطة أدوات بسيطة، ويقوم هذا النمط المعيشي على الجمع والالتقاط غير المنتظم للنباتات والثمار البرية التي كانت تثبت في أماكن إقامتهم أو بالقرب منها، وكانت تصادفهم خلال عمليات التنقل اليومي التي كانوا يقومون بها من أجل البحث عن الغذاء النباتي. تكوّنت لدى سكان الطائف خبرة كافية يستطيعون من خلالها معرفة النباتات المفيدة من النباتات الضارة، والتفريق بينها وتمييز بعضها عن بعض من خلال تجربتهم اليومية المنقولة من الآباء إلى الأبناء، ولم يتناولوا النباتات والحبوب البرية كالسابق؛ بل كانوا يُعدّونها بالطحن والهرس والجرش قبل تناولها، كما كانوا

(١) سورة المائدة: الآية (٩٤). العمري، عبدالعزيز: الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول، ط ١ (الرياض: دار إشبيليا، ٢٠٠٠م) ص ٤٩.

(٢) الدينوري: الجرائم، ج ١، ص ٤٢٢. أنيس: المعجم الوسيط، ص ١٥٣.

(٣) العمري: الحرف والصناعات في الحجاز، ص ٦٤-٦٥.

(٤) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٣٢٣.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٩٨.

يطهونها على النار^(١). كثر الجمع في الطائف على خلاف أماكن أخرى من الحجاز، وذلك أن الطائف تمتلك مصادر عدة لالتقاط بسبب كثرة الأمطار فيها، واعتدال جوها؛ فامتلات الجبال والأودية والسهول بأنواع كثيرة من الأشجار والنباتات، وأكثر ما جمع سكان الطائف التين البري والأراك الذي كان من أحسن الأشجار للسواك، وينبت غالباً على ضفاف أودية الطائف^(٢). ومن جملة ما جمع سكان الطائف أشجار القرظ والسلم والسمر والندغ والمظ والنشم، وكانت تستعمل لإشعال النار؛ وكذلك الحشائش والأعشاب التي تستخدم أعلافاً لماشيئهم؛ والثمار والفواكه والخضروات المختلفة، وكذلك الجراد؛ حيث استفاد منه سكان الطائف كباقي الحجازيين في أكلهم^(٣).

رابعاً : النشاط الصناعي والحرفي :

تمثل الحرف والصناعات الجانب المنتج من حياة المجتمع؛ حيث تتداخل الحرف في مدلولها العام مع مفهوم الصناعات التقليدية، فإذا كان الرعي والصيد والزراعة والتجارة والتطبيب من الحرف فإن الحدادة والصناعة والحياكة والنجارة تمثل الصناعات.

ولاشك أن الطائف من المناطق الغنية بتراثها الحضاري الذي ورثته عبر مختلف مراحلها التاريخية والحضارية، ويظهر ذلك بوضوح في تعدد الفنون الشعبية، والحرف، والمصنوعات التقليدية التي تعكس ذوقاً فنياً وتراثاً غنياً.

لقد تنوعت الصناعات والحرف في الطائف فشملت كل متطلبات الحياة اليومية؛ حيث تعددت أشكالها، وأحجامها، وألوانها، وموادها الخام حسب استخداماتها وأغراضها، ولعل تعدد وتنوع هذه الصناعات أدى إلى تنوع خصائصها الفنية التي عكست ذوق ومهارة الحرفيين، وتنوع ثقافتهم وأذواقهم، وفيما يلي أهم الصناعات والحرف التي قامت بالطائف:

١- الصناعات الجلدية :

أ- دباغة الجلود :

الدباغة: معالجة الجلد بمادة ليلين ويزول ما به من رطوبة وبتن؛ وذلك بتحويله بعد سلخه وتنظيفه من الصوف والوبر إلى منتج مفيد أكثر مرونة ومثانة عن طريق دبغ الجلود والإهاب بما يدبغ به من مواد؛ والإهاب هو جلد البقر والغنم والوحوش

(١) أبو غنيم، خالد: أنماط المعيشة ودورها في تكوين التشكيلات الاجتماعية في عصور ما قبل التاريخ، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، مج ٤، ع ١ (عمان: الجامعة الأردنية، ٢٠١٠ م) ص ١٤٢.

(٢) العمري: الحرف والصناعات في الحجاز، ص ٦٤.

(٣) ابن ماجه، أبو عبد الله: سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج ٢، د.ط. (القاهرة: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ت) ص ١١٠١-١١٠٢.

الكبيرة قبل الدبغ^(١). ولعبت صناعة الجلود دوراً هاماً في حياة سكان الطائف قبل وبعد الإسلام؛ حيث توفرت المقومات التي ساعدت على وجود هذه الصناعة؛ وهذه المقومات هي جلود الحيوانات التي كان يرعاها سكان المدينة؛ كالإبل، والأغنام، والماعز، والأبقار؛ بالإضافة إلى جلود الحيوانات المتوحشة التي كانت تعيش في أنحاء الطائف؛ فضلاً عن توفر النباتات التي تستعمل ثمارها في عملية الدباغة؛ كنبات القرظ، والعلق، والعزف، والأرطى والصرف، وكذلك فقد توافقت الظروف المناخية بالطائف مع عملية الدباغة^(٢) وبلا شك فإن الطائف مدينة تجارية تمر بها القوافل مما سهل عليها تسويق منتجاتها الجلدية خارج شبه الجزيرة العربية.

كان من الطبيعي أن سكان الطائف قد انتفعوا من جلود الحيوانات والماشية والإبل وغيرها من الحيوانات الأليفة؛ حيث إن مهنة الرعي وتربية الماشية كانت إحدى الحرف الرئيسية بها؛ مما يوفر كمية كبيرة من الجلود؛ فعملوا على دباغة تلك الجلود والاستفادة منها، وصنعوا من تلك الجلود بيوتهم وأدواتهم وأوانيهم وملا بسهم، واستعملوها في أغراض شتى؛ لذلك أصبحت هذه الحرفة أحد أهم الحرف التي ذاع صيتها في الطائف، ويذكر الهمداني: أنها " بلد الدباغ، يدبغ بها الأهب الطائفية المعروكة". وقد تطورت صناعة الأديم في الطائف حتى بلغت شأنًا كبيراً، وأصبحت تصدره إلى الأمصار الإسلامية الأخرى^(٣)، ويبدو أن هذه الشهرة التي نالها الطائف في دباغة الجلود وصناعة الأديم استمرت في العهود الإسلامية المتأخرة؛ فيذكر الإدريسي: أن بالطائف تجاراً " جل بضائعهم صنع الأديم، وأديمها عالي الجودة، رفيع القيمة، وبالنعل الطائفي يضرب المثل، وهذا مشهور"^(٤) كما يذكر ابن الجاور أن أهل الطائف يشتغلون بدباغة الجلود فيقول: " وجميع عملهم دباغ الأدم، ويدبغ بها الأديم المليح الثقيل المعروف بها، وهو الذي يصلح لخوارزم"^(٥). وتكثر مداغ الجلود قرب واد بين طائف ثقيف والوهط، وتسيل مياه الدباغة في ذلك الوادي، ولها رائحة ننته تصرع الطيور إذا مرت بها^(٦).

والجلود تدخل في مختلف الأدوات التي يحتاج إليها سكان الطائف في حياتهم اليومية؛ حيث إن الأدوات والأواني المصنعة من الجلود خفيفة الوزن وسهلة النقل؛ لذلك

(١) الفراهيدي: العين، ج ٤، ص ٣٩٤. أنيس: المعجم الوسيط، ص ٢٧٠.

(٢) الجوهرى، أبو نصر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج ٢، ط ٤ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م) ص ١٧٧.

(٣) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٢٢.

(٤) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج ١، ص ١٤٤-١٤٥.

(٥) ابن الجاور: تاريخ المستبصر، ص ٣٦.

(٦) ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٩.

صنع الطائفون معظم الأدوات التي شملت شؤونهم اليومية كافة من مأكّل وملبس من الجلود، ومن هذه الصناعات ما يلي^(١):

١. القرب: وكانت مخصصة بصفة خاصة للماء، والسوائل المختلفة بصفة عامة، وكانت بمثابة مخازن متحركة سهلة النقل وليست معرضة للكسر؛ حيث كان يخزن فيها أنواع عديدة من السوائل، كما كانت أوعية لحمل الماء أثناء السفر والسير في الصحراء التي يصعب الحصول فيها على الماء، وخاصة في القوافل التجارية التي كان يقوم بها العرب بين الدول المجاورة، كما كانت أوعية يحفظ فيها الخمر والمشروبات الأخرى، وتستعمل -أيضاً- لحفظ الدهون والزيوت واللبس والمواد الغذائية التي كان يحتاج إليها سكان الطائف خلال ترحالهم، وكذلك أداة للتخزين داخل البيوت. والجلد الذي يصنع منه القرب يعالج ويصنع بطريقة خاصة بحيث لا ينتج عن استعماله تغيير في طعم ما يوضع^(٢).

٢. الجرب: وهو وعاء من الجلد يحفظ فيه الأشياء الجافة كالدقيق والتمر، ويقال له: الزاد أو المزود^(٣).

٣. الدلاء: جمع الدلو، وهي أوعية استخدمت في استخراج ورفع الماء من الآبار، وكانت تصنع تلك الأوعية من جلد البقر والإبل وذلك لكي يتحمل الصدمات والاستعمال الكبير والشاق لها^(٤).

٤. الأحذية أو النعال: وكانت تصنع من الجلود أنواع مختلفة من النعال؛ وبالنعال الطائفي يضرب المثل، وهو مشهور في نواح مختلفة من شبه الجزيرة العربية^(٥).

٥. ملايس وأدوات جلدية: استخدم سكان الطائف الجلود في صناعة الملابس، وتعد الطائف من المدن الباردة؛ فكانوا يصنعون معظم ملابسهم من جلود الماعز والأغنام، ويصنعون الفراء من الثعالب، صناعة الدروع والخوذ والتروس؛ وقد صنعت الدروع من الجلد لحماية الجسم من ضربات السيوف، ومن تساقط السهام على الجسم، وكذلك الخوذ؛ حيث إن الجلد في هذه الحالة كان يعالج معالجة خاصة تكسبه صلابة تمكنها من صد ضربات السيوف وتساقط السهام عليها، صناعة السيور والألجمة والسروج؛ وهي الأدوات المستعملة في الفروسية وركوب الخيل،

(١) عامر، جمال: الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم تاريخ شبه الجزيرة العربية، المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٥ م، ص ١١٧-١١٨.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ٦٦٦.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، ج ٩، ص ١٦٠.

(٤) الجوهرى: الصحاح تاج اللغة، ج ٦، ص ٢٣٩.

(٥) ابن الأخوة، محمد: معالم القرية في طلب الحسبة، د.ط. (كمبريدج: دار الفنون، د.ت) ص ١٤٩.

- والسيور المستعملة في ربط الهودج على الجمل، وكذلك ربط أحمال الإبل في القوافل التجارية.
٦. الأعمدة: وهي أعمدة السيوف والسكاكين والخناجر، ومختلف أنواع النصال المعدنية، وهي أجربة تلك الأدوات الحادة؛ حيث كانت توضع فيها للحفاظ على حدتها.
٧. العياب أو الزبيل: وهي أوعية من الأدم، ومفردها عيبة، وهو ما يوضع فيه المتاع والثياب أثناء الترحال والتنقل، وخلال الرحلات التجارية الكثيرة التي كان يقوم بها سكان الطائف.
٨. الخيام والبيوت والقباب: وكانت الخيام الجلدية تصنع لأثرياء الطائف ومقتدريها، ولم تكن متاحة لعامة الناس، وكذلك القباب التي تُضرب للملوك والسادة والأشراف أمانة على الرئاسة والسيادة. وتصنع جلودها بلون أحمر في الغالب، وكانت غالية؛ لذلك لم يستعملها إلا أصحاب الجاه والمال. فكان سادة الطائف إذا نزلوا منزلاً ضربوا قباباً من أدم، وكان حكام عكاظ والسادات الذين يحضرون السوق يضربون لهم قباباً، وأما سائر الناس فيضربون لهم بيوت الشعر، وبيوت الشعر أرخص ثمناً من قباب الأدم. وقد اتخذ العرب بيوتاً من جلد عرفت بالقشاعة أو القشوع، وذكر بعضهم أن القشاعة بيت من أدم، وربما اتخذوا من جلود الإبل صواناً للمتاع. وذكر أن البيت من أدم، هو الطرف، وهو بيت من بيوت الأعراب ليس له كفاء^(١).
٩. الزق: وهو من الجلد الرقيق كجلد الماعز. وكلمة الزق كانت تطلق على كل وعاء اتخذ للشرب، وخاصة شرب الخمر^(٢).
١٠. الشكوة: وهو إناء من الجلد كان يحبس فيه اللبن ويرج حتى يتجن، وكان يصنع من جلود الماعز أو الأغنام^(٣).
١١. السروج واللجم: وهي إحدى السلع التي اشتهرت بها مدينة الطائف، وكانت تستخدم لركوب الخيل.
- وطريقة دباغة الجلود، ينقع الجلد المسلوخ حديثاً في الماء لمدة يومين أو ثلاثة أيام؛ بينما ينقع ما سُليخ منذ فترة طويلة، أو ما كان مملحاً أو مجففاً في الماء لما يزيد عن ثمانية أيام، وعادة ما تملح الجلود وتجفف وتشر في الشمس حتى تتفسخ وتتأكسد المواد

(١) الزبيدي، مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي، ج ٢٢، ط ١ (الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ص ١٢.

(٢) الفراهيدي: العين، ج ٥، ص ١٢.

(٣) الرازي، أبو بكر: مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط ٥ (بيروت: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م) ص ١٦٨.

البروتينية. وكانت الجلود تتقع بعد ذلك في أحواض محفورة في الأرض، ومصبوغة بمادة تمنع تسرب الماء منها، ويُغيّر الماء باستمرار لتخفيف رائحة الجلد، وبعد فترة النقع يكون الجلد قد لُفِزال منه الشعر بإضافة مادة الدبغ إلى منقوع الماء، أو بإضافة بول الحيوانات لاحتوائه على مادتي اليوريا والأمونيا، أو بإضافة الحجر الجيري، ثم تحك الجلود بالسكين أو بألة حادة أخرى لإزالة البثور الخارجية والفضلات أو جذور الشعر، ثم يرد في الماء لمدة يوم وليلة، ويرفع منه بعد ذلك ليكشط بالسكين مرة أخرى، ويغسل ويجفف لمدة يوم، ثم يعالج بالملح فترة قد تصل إلى ثلاثة أسابيع، ثم ينقع في ماء به أوراق نباتات الدباغة^(١) كنبات الأرتى، ونبات الحلب، والدهناء، والسلمة، والشث، والصرف، والعفص، والقرضم، والقرظ، والعرفة. ويُغيّر هذا الماء لمدة اثني عشر يوماً حتى يصبح الجلد جاهز الدبغ ومعداً للتصنيع^(٢)، وتتوعد الأدوات والآلات المستعملة في الدباغة التي ذكرت في المصادر التاريخية: كالمحط^(٣)، والمحلة^(٤)، وسكين الدباغة^(٥)، والإزميل^(٦)، ومواد الدباغة المختلفة^(٧).

ب - خرازة الجلود:

الخرازة: يقال: خرز الجلد ونحوه؛ أي: خاطه. والخرازان صانع الخرز، ومن حرفته خياطة الجلد^(٨)، وكانت الجلود ذات فائدة كبيرة للخرازين؛ فكانوا يشترونها من أصحاب الأدم بمختلف أنواعها من أديم،^(٩) وأفيق،^(١٠) وسبت،^(١١) ومذاهب،^(١٢)

- (١) عامر، جمال: الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، ص ١١٧-١١٨.
- (٢) النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٩٢. الفيروز آبادي، مجد الدين: القاموس المحيط، ج ١، د. ط. (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م) ص ١٦٧. الدمياطي، محمود: معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي، د. ط. (القاهرة: دار المصرية للتأليف والترجمة، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥ م) ص ٤٧. علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٥٢٧-٥٨٧. ابن منظور: لسان العرب، ج ١٣، ص ١٦٢. عامر: الحرف والصناعات اليدوية، ص ١١٩.
- (٣) عامر: الحرف والصناعات اليدوية، ص ١٢١-١٢٢.
- (٤) المحط: وهي المنضدة التي يوضع عليها الجلد لصقله وإزالة الدهون والمواد العالقة به، وكان يصنع من الخشب والحديد أحياناً. ابن منظور: لسان العرب، ج ٧، ص ٢٩٨.
- (٥) المحلاة: أداة تستعمل لإزالة الشعر من الجلود وإعدادها وتجهيزها للدبغ.
- (٦) سكين الدباغة: وهي نصال ذات حدين تستخدم لإزالة الدهون من الجلد.
- (٧) الإزميل: أداة لاستعمال الجلود وإزالة الزوائد منها. ابن منظور: لسان العرب، ج ١١، ص ٢١١.
- (٨) مواد الدباغة: تعددت مواد الدباغة وعلى رأسها الجير والملح.
- (٩) الفراهيدي: العين، ج ٤، ص ٢٠٧. أنيس: المعجم الوسيط، ص ٢٢٦.
- (١٠) الأديم: ما كان من الجلد قبل الدبغ وبعده. ابن منظور: لسان العرب، ج ٩.
- (١١) الأفيق: أول ما يكون الجلد في دباغته. ابن منظور: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٦.
- (١٢) السبت: جلود البقر وكل جلد مدبوغ بنبات القرص. الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ج ٨، ص ٣٥٧.
- (١٣) المذاهب: سيور الجلد المدبوغة والموهمة بالذهب. ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ٣٩٥.

وأرندج^(١)، وهور^(٢)، ونطع، وقضيم^(٣)؛ ويصنعون منها النعال والخفاف، والسرج، واللجم، والخيام، والحياض، والملابس، وأدوات الحرب، والقرب؛ وكذلك الأحزمة، وأجربة السكاكين، والسيوف، والخناجر، والأواني الجلدية التي كانت بادية نجد والحجاز تستعملها لحفظ الماء والزيت والعسل والسمن واللبن لملاءمتها لحياتهم البدوية التي تقوم على التنقل والترحال؛ لأن الشمس الحارة في تلك البلاد لا يقاومها من الأوعية التي كانت تستعمل في البيوت غير الجلود، كما كانوا يستعملونها لحفظ التمر؛ فكانوا يضعون التمر في جوارب من الأديم، كما كانوا يدبغونها جيداً ويعملون منها السبط الجلدية^(٤)، ويستعمل الخراز أدوات عديدة لإتمام عملية الخرازة، وهي المدق، والمخراز، والفرجار، وأداة طي الجلد والدفرة والرأس، ثم ينتقل الخراز إلى مرحلة الزخرفة بعدة أدوات تستخدم لزخرفة الأغلفة الجلدية بصفة خاصة، والمشغولات الجلدية بصفة عامة، وذلك مثل الهراشة، والعجلة، والأزاميل، ومكواة الحرق، والأختام المعدنية والزمبة وموقد أدوات التشطيب وغيرها^(٥).

٢- الحدادة والصياغة:

١- الحدادة:

مارس سكان الطائف مهنة الحدادة دوناً عن العرب فقد كانت مهنة مُحترقة في الجاهلية إلى أن جاء الرسول ﷺ - وغير نظرة العرب تجاه هذه الحرفة^(٦)، فهي حرفة شريفة مارسها الأنبياء؛ كداود وسليمان عليهما السلام، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجَالُ أَوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبْعِينَ وَفِي السَّرِّ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾^(٧)، كما حاول ﷺ - أن يبدل نظرة الاستحقاق تلك بأن جعل مرضعة ابنه إبراهيم زوجة حداد يدعى أبا سيف^(٨) على الرغم من وجود مرضعات من أشرف العائلات وأنبهها.

- (١) الأرندج: الجلد الأسود المدبوغ بالعفص. النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٩٣.
- (٢) الحور: الجلود البيضاء الرقيقة، وعادة ما تكون من جلود الضأن. ابن منظور: لسان العرب، ج ١٢، ص ٤٤٨.
- (٣) النطع والقضيم: الجلود البيضاء التي استخدمت في الكتابة. عامر: الحرف والصناعات اليدوية، ص ١٢٢.
- (٤) العمري، عبدالعزيز: الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول، ص ٢٨١.
- (٥) الصويان، سعد: الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية (الحرف والصناعات)، ج ٢، ط ١ (الرياض: دار الدائرة، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م) ص ٤٣٥-٤٣٦.
- (٦) يعرف الحداد -أيضاً- باسم القين. أنيس: المعجم الوسيط، ص ٧٧١.
- (٧) سورة سبأ: الآية (١٠-١١).
- (٨) وهو الصحابي الجليل البراء بن أوس بن خالد الأنصاري. الخزاعي، علي: تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول ﷺ - من الحرف والصناعات والعمالات الشرعية، تحقيق: إحسان عباس، ط ١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ص ٧١٦.

ترتبط حرفة الحدادة بالعديد من الحرف كالزراعة؛ وذلك لأن المزارع يحتاج لآلات زراعية كثيرة يدخل في تصنيعها - بشكل أساسي - مادة الحديد ومعادن أخرى؛ كالقووس، والمحاريث، ومناجل الحصاد، والمحشات، والداسولة، والعكفة، والطبر، والمسحاة، والكرك، والكرفة، والمسنون، والهيبي، وغيرها من الآلات الزراعية^(١)، ويصنع الحداد معظم المستلزمات العسكرية والأسلحة؛ كالخنجر، والسيوف، والسكاكين، والنبال، والدروع، وكذلك يصنع المسلة، والمخراز، والمجوب، والكثير من أدوات الغزل والحياكة، وبعض أجزاء السروج والألجمة، ووحدات المكابيل والموازين التي تستعمل في البيع والشراء^(٢). واستعمل الحديد - أيضاً - لإصلاح الكثير من الأدوات، وخاصة الأدوات الحجرية، كما أنه يعد للحرف الأخرى ولأهل البيوت كثيراً من الآلات التي يصنعها من الحديد^(٣).

وقد عمل في حرفة الحدادة بالطائف جمع من العرب والموالي واليهود، وكانت جلدان قد اشتهرت بصناعة السيوف تحديداً^(٤)، وممن عملوا بهذه الصناعة الأزرق بن عقبة الثقفي مولى الحارث بن كلدة، وكان الأزرق رومياً نزل إلى الرسول - ﷺ - أيام حصار الطائف وأسلم فأعتقه الرسول - ﷺ - وسلمه لخالد بن سعيد بن العاص فصار حليفاً لبني أمية^(٥)، وعادة ما تستورد تلك المعادن من المدن المجاورة ما عدا معدن الحديد فيستورد من الهند وفارس^(٦) ويستعين الحداد بأدوات مختلفة في تطويع الحديد وطرقه وتشكيله كالكبير^(٧) والكور^(٨)، والمطرقة^(٩)، والقرزم^(١٠)، والمشخذ^(١١)، والمشرج^(١٢).

(١) آل الشيخ، نورة: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام، د.ط (جدة: مكتبة تهامة، ١٤٠٢ هـ) ص ١٢٨.

(٢) لعشوري، آمال: الحرف والمهن في الدولة الإسلامية، ص ٦٢-٦٣.

(٣) معطي: تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام، ص ١٤٨.

(٤) جلدان: موضع بالطائف. البكري، أبو عبيد الله: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج ٢، د.ط (بيروت: عالم الكتب، د.ت) ص ٢٨٩. العمري، أحمد: الصنائع والمهن في نجد والحجاز في صدر الإسلام والعصر الأموي، ط ١ (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٣ هـ / ٢٠١٢ م) ص ٢٠٨.

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٢٣. العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ١٩٩.

(٦) السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز، ص ١٥٦.

(٧) الكير: منفاخ يتكون من جلد أو نحوه يستخدمه الحداد وغيره للنفخ في النار لإذكائها، وتجعل الحديد ليناً يسهل طرقه وتطويعه. الزمخشري: أساس اللغة، ج ٢، ص ٢٩٠.

(٨) الكور: مجمرة الحداد، مبنى من الطين يشبه الفرن يوضع به الجمر لإحماء المعادن وصهرها. الفراهيدي: العين، ج ٥، ص ٤٠٠.

(٩) المطرقة: أداة يُطرق الحديد بها لترقيقه وتحويله للشكل المطلوب.

(١٠) القرزم: لوح الإسكاف المدور.

(١١) المشخذ: مبرد للحديد.

(١٢) المشرج: مطرق لا حروف لنواحيه.

وتمر الحِدادَة بمراحل متعددة حتى ينجز الحداد الأداة المطلوبة، فيوضع الحديد على النار -أولاً- ويترك حتى يحمر، ثم يغط ويعاد من جديد إلى النار، ثم يرفع وينظف، ثم يُشكّل الحداد الحديد وذلك بطرقه على السندان؛ بينما ينفخ المساعد في الكير وهو يمسك القطعة المراد طرقها وتشكيلها، فإذا كانت الأداة تحتاج إلى ترقيق تسجل بمبرد حديدي، وإذا كان يحتاج إلى أسنان فيسجل -أيضاً- لعمل الأسنان التي تحتاج إلى شرح ومغط، ثم يشرب بالماء ليكون قاطعاً؛ ومن ثم تأتي عملية الشحذ لتأخذ الحدة المطلوبة، وتعد المطرقة والملقط وبيت النار والسندان وجرن الماء مقومات هذه الحرفة (١).

ب - الصياغة :

لم تخل الطائف من الصوّاغ؛ فتذكر الروايات أن الرسول -ﷺ- في حصاره للطائف طلبت منه خولة بنت حكيم بأن يعطيها حلي بادية بنت غيلان بن مطعون الثقفي، والفارغة بنت عقيل الثقفية، وكانتا من أجمل نساء ثقيف وأكثرهن حلياً. ويستعمل الصائغ جملة من الأدوات شبيهة بأدوات الحداد، ومعها آلات للنقش والكتابة (٢)، ومما أنتجته حرفة الصياغة في الطائف: الحلي بأنواعها كالقلائد والأساور والأقراط والخلاخيل والخواتم والتيجان، ومنها ما كان مرصع بالأحجار الكريمة. وكذلك الكوز والكؤوس والأباريق، وكانت تزيّن بعض المصوغات بالرسوم والنقوش المختلفة (٣).

٣- البناء والنجارة :

أ - البناء :

برع سكان الطائف منذ القدم بفنون العمارة؛ حيث بنوا السدود والقنوات لتصريف المياه، وحفروا الآبار وحوطوها، كما استطاعوا بناء القلاع والحصون والآطام (٤) والأبراج لحماية المدينة من العابثين، وقد أتقنوا صناعة اللبن وتكسير الصخور، وتهذيب الحجارة وخاصةً أحجار البازلت التي كانت أساس البناء في المدينة لما تشتمل عليه من خصائص فيزيائية تلطف الجو، وكذلك اللبن وهو المادة الطينية التي تخلط بالتبن وتمجن وتشكل على شكل قوالب مستطيلة أو مربعة، كما كانوا يستخدمون الطين والحجر الذي لم يهذب في بناء الحظائر والمنازل العادية (٥)، وتميزت العمارة الحربية

(١) عامر: الحرف والصناعات اليدوية، ص ٤٢-٤٣.

(٢) العمري: الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول، ص ٢٧٨.

(٣) علي: المفصل في تاريخ العرب، ج ٧، ص ٥٦٣-٥٦٦.

(٤) الآطام: مفرد ما أطم، وهو حصن مبني بحجارة، وقيل: هو كل بيت مربع ومسطح. ابن منظور: لسان العرب، ج ١٢، ص ١٩.

(٥) السيد، محمد قاري: ملامح من التراث العمراني في محافظة الطائف، ط ١ (الطائف: اللجنة العامة للتنشيط السياحي، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م) ص ٢٦.

في الطائف بالمتانة والحصانة حتى إن المسلمين لم يتمكنوا من دخولها إلا بعد أن دخل أهلها للإسلام طواعية لمناعة حصونها وأسوارها، وقد اكتسب سور الطائف شهرة واسعة حتى إن البعض أشار أن تسمية الطائف جاءت بسبب ذلك السور الطائف بها. وتستخدم الحجارة المثبتة المونة أو اللبن في بناء القصور والحصون والآطام والقلاع، وكانت تكتسى بطبقة جصية متينة، ويصل سمك الجدران والأسوار إلى ما يقارب ثلاثين ذراعاً^(١)، أما البيوت في الطائف فكانت جيدة البناء ومنتظمة التصميم، ومعظم المنازل وخاصة ما يسمّى بالدور تحتوي على صحن الدار وهو قاعاتها وساحتها، والخزنة وهي الغرفة التي تحفظ بها المؤن، ويأتي بعدها المضجع أو المرقد وهي غرفة النوم، والصفة غالباً ما تكون شرفة مبنية في اتجاه الريح، ولا تخلو البيوت من الكوة^(٢)، وكان يطلق على السطح اسم الصهو، وهناك ما يعرف بالتنور ويستخدم لإعداد الطعام، ويقال له: المسعر أو الوطيس، وكذلك الإسطبل وهو الموضع الذي تربط فيه الدواب^(٣).

ب - النجارة:

النجارة من النجر، وهو نحت الخشب وتهذيبه^(٤)، وتعد النجارة أحد أشهر الحرف والأنشطة الصناعية التي قام بها سكان الطائف منذ القدم، وتقوم على استخدام أخشاب الأشجار في صناعة المنازل والعدد والأدوات المختلفة التي يحتاجها السكان في حياتهم اليومية. وكانت النجارة في البادية بدائية؛ حيث استخدمت مفالِق النخيل وبعض الألواح التي تستخرج من جذوع الأشجار في مشغولات بسيطة صنعت بطريقة بدائية؛ كأعمدة الخيام، والأوتاد الخشبية، والحدوج، والصناديق؛ بعكس أهل الحاضرة الذين برعوا في هذه الحرفة وأدخلوها في صناعات متعددة، وتقدمت صناعة النجارة بالطائف شيئاً فشيئاً عندما اهتموا ببناء المساجد والبيوت والدور، فظهرت فنون أعمال النجارة واضحة وجليّة في المنابر، والدكك، والأسقف، وبعض القباب، والنوافذ، والشبابيك، والأبواب، والكراسي، وأواني الطعام^(٥)، وقد وفر النجار الطائفي المستلزمات الزراعية؛ مثل: المحارِث لحرث الأرض، والسواقي لرفع المياه من الآبار ومجاري المياه المنخفضة إلى الأراضي المرتفعة عن مستوى المجاري المائية وغيرها مما يناسب الحياة في بيئتهم الزراعية؛ بالإضافة إلى العربات التي تجرها الحيوانات. وتدخل النجارة -أيضاً- في

(١) محمد بن: دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ج ٢، ص ١٥٤.

(٢) الكوة: وهو الثقب الموجود في أعالي البيوت، وكان ينفذ منه النور.

(٣) الكنانى: الطائف قبل الإسلام، ص ١٢٨.

(٤) ابن منظور: لسان العرب، ج ٥، ص ١٩٣.

(٥) السيف، عبد الله: الصناعات في نجد والحجاز في العصر الأموي، مجلة الدارة، مج ٧، ع ٢ (الرياض: دار

الملك عبدالعزيز، ١٩٨٣ م) ص ٢٤٦-٢٤٧.

صناعة الأسلحة؛ كالرماح، والقسي، والسهام، والنبال، والأقواس وغيرها^(١)، ويستعمل النجار في صنع القصور والأبنية والأثاث والأدوات الخشب الصلب والمقاوم؛ كخشب أشجار الرمان، وأشجار النبق، والعرعر، والسنط، والطلح، والإذخر، والسمر، والجوز، والسرو، وشجر المرخ الذي تصنع منه هياكل الخيام؛ وكانت الأخشاب تعالج بالقطران وزيت الخردل لكي تبقى مدة أطول^(٢)، ويستخدم النجار جملة من الأدوات في صنعته: بعضها من صنع الحداد لأنها من حديد، ومنها الفأس، والمنشار، والمنقار، والمحفرة، والمسحل، والمنقب، والكلبتان، والمسامير، والأوتاد وغير ذلك من أدوات تستعمل في قطع الخشب وفي تنظيمه وقلبه وهندسته لجعله صالحاً للعمل^(٣)، وكان أهل الطائف يميلون إلى النجارة أكثر من غيرهم من العرب، وذلك بسبب ميلهم إلى الزراعة والاشتغال بما يخرج منها، وعنايتهم بغرس الأشجار المثمرة التي كانوا يسعون -دائماً- إلى تحسين أنواعها، وجلب أنواع جديدة منها، ومن أشهر النجارين في الطائف الصحابيان عروة بن مسعود^(٤) وغيلان بن سلمة^(٥) رضي الله عنهما، وكان لهما خبرة كبيرة في النجارة، وكذلك صناعة الآلات الحربية حتى أنهما لم يشهدا حيناً ولا حصار الطائف فقد كانا بجرش^(٦) يتعلمان صناعة الدبابات والمجانيق^(٧).

٤- صناعة النسيج وخياطته وصباغته؛

أ- صناعة النسيج؛

ازدهرت صناعة النسيج في الطائف ويرجع ذلك إلى توفر المواد الخام مثل الصوف الذي ينتج من قطعان الأغنام، أو وبر الجمال، أو شعر الماعز، وكان من الضروري الاستفادة من الصوف بغزله أولاً، وكانت النساء في الغالب هن اللاتي يقمن بعملية

(١) السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز، ص ١٦٤.

(٢) الكنانى: الطائف قبل الإسلام، ص ١١٧-١٢٢.

(٣) الكنانى: الطائف قبل الإسلام، ص ١١٩-١٢٠.

(٤) عروة بن مسعود الثقفي صحابي مشهور، وزعيم ثقيف في زمانه، وأحد وجوه العرب، له الكثير من الآثار والأخبار، نزلت به الآية الكريمة: (وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْشِيِّينَ عَظِيمٍ) على ما ذكر لدى المفسرين، توفى سنة ٩ هـ / ٦٣٠ م) العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ٤٠٦.

(٥) غيلان بن سلمة الثقفي صحابي جليل، أسلم في السنة الثامنة من الهجرة، وشهد حجة الوداع، وكان أحد وجوه ثقيف ومقدميهم، ويعد في أشراف المعلمين، وذكره حكام العرب ضمن أربعة أشراف من قيس، وقال: كان يجلس في أيام المواسم فيحكم بين الناس توفى سنة ٢٣ هـ / ٦٤٤ م). العسقلاني: المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٥٢.

(٦) جرش: موقع أثري يقع إلى الجنوب من مدينة خميس مشيط بحوالي خمسة عشر كيلومتراً على الطريق البري الواصل بين مدينتي خميس مشيط ونجران. ابن جريس، غيثان: تاريخ مخلاف جرش (عسير) خلال القرون الإسلامية الأولى، مجلة بيادر، ع ٢٤ (أبها: نادي أبها الأدبي، ١٩٩٨ م) ص ٦٩.

(٧) المنجنيق: هي آلة حربية تستعمل لقتل الحجارة والسهام وكل ما يمكن قذفه من أجسام بواسطة ذراع فيه كفة يتحرر تحت ضغط قوة فتل الحبال. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٤، ص ٣٤٥.

الغزل في بيوتهن أكثر من الرجال نظراً لتفرغهن؛ لكن هذا لا يعني عدم وجود الرجال في هذه الحرفة^(١)، واستعمل النساجون في هذه الحرفة العديد من الأدوات كان من ضمنها المغزل، والمحف، والصنار، والنير، والمداد، وغيرها من الأدوات الأخرى^(٢)؛ غير أن الغزل والنسيج لم يكن الحرفة الوحيدة المتعلقة بالثياب في تلك الأيام؛ فقد وجدت إلى جانبه -أيضاً- حرفة أخرى وهي الخياطة.

ب- الخياطة:

تتوفر المنسوجات بالطائف إما عن طريق الاستيراد من الخارج، وإما عن طريق الإنتاج المحلي، وقد أشارت المصادر إلى وجود مهنيين في الطائف يحضرون الأقمشة ويبيعونها إلى الخياطين للاستمرار في ممارسة مهنتهم؛ علماً أن أولئك الحرفيين لم يكونوا من أهل الحجاز فقط، وإنما كانوا يأتون إلى الحجاز من أماكن عديدة داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها^(٣)، وطالما وجدت الأقمشة والمنسوجات -سواءً المحلية أو المستوردة في الطائف- فلم يكن هناك مشكلة للخياطين الذين يشتغلون في الأسواق، فيدفعون إليهم بالأقمشة لتفصيلها مقابل أجر معلومة، كما كانوا يستأجرون للعمل في تفصيل الثياب في بيوت الأثرياء وعلية القوم^(٤)، وأكثر من انخرط في هذه المهنة من الموالي والعبيد، والمعروف أن طبقات الموالي والعبيد لم يكونوا من سكان الطائف الأصليين؛ وإنما قدموا إليها خلال الفتوحات الإسلامية المبكرة، وربما قبل الإسلام من مناطق متعددة ومتباينة في ثقافتها وحضارتها، وهذا مما لاشك فيه أنهم قد عملوا في المهن والحرف أمثال الخياطة وغيرها فأحدثوا أنواعاً من التجديد والتطوير في الحرف التي أصبحوا يعملون بها مستقيدين من خلفياتهم ومعارفهم التي اكتسبوها من أوطانهم الأصلية^(٥).

ب- الصباغة:

هي عملية لاحقة بحرفتي النسيج والخياطة، وتعتمد على المواد الأولية التي تكون في غالبيتها نباتية، والصبغ: هو ما يلون به، واهتم سكان الطائف بتحضير الأصباغ والألوان لتلوين الثياب والأقمشة، وتركيب الأصباغ المختلفة. ومعظم الأصباغ تستخرج من النباتات البرية والمزروعة؛ كالورس، والعصفر، والحلق، وقرف الأرتى، وقرف

(١) لعشوري: الحرف والمهن في الدولة الإسلامية، ص ٥٧.

(٢) لعشوري: المرجع السابق، ص ٥٧.

(٣) السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز، ص ١٦٣.

(٤) لعشوري: الحرف والمهن في الدولة الإسلامية، ص ٧٤.

(٥) شاهين: تاريخ الموالي، ص ٥٥.

السدر، وكانت سلعة مطلوبة ورائجة لأنها ثابتة لا تتغير بسرعة، وأكثر أصباغ أهل الطائف أخذت من النباتات، وهو شيء طبيعي لسهولة الحصول على الأصباغ من النباتات، ولتوفرها لديهم في الحضر والبدو بعكس الأصباغ المعدنية؛ حيث إنها تتطلب مهارة وتقدماً في الصناعة^(١)، لم تقتصر الصباغة في الطائف على الأصباغ المحلية؛ بل استقدموا أصباغاً مختلفة من الهند وفارس^(٢)؛ كالعندم^(٣)، والفرصاد^(٤)، والفوة^(٥)، والنكع^(٦)، والصرف^(٧)، واللك^(٨)، والأرقان^(٩)، والعصفر^(١٠)، والزعفران^(١١)، وتتم عملية الصباغة إما بنقع الخامات بالماء، أو طبخها على النار حتى تصبح مادة صالحة لتلوين الجلود والثياب والأقمشة، واستطاع أصحاب هذه المهنة بعد اكتسابهم للخبرة والمهارة من مزج الأصباغ إما لتركيزها أو للحصول على ألوان جديدة؛ من ذلك الصبغة الخضراء التي كانت تستخدم في الأقمشة، وكانت مكونة من خليط اللونين الأزرق والأصفر، وبفضل الخبرة -أيضاً- تعلموا كيفية تثبيت الألوان^(١٢)، وقد تميز سكان الطائف بملابس مختلفة عن باقي سكان الحجاز، وقد ورد وصف زي أهل الطائف على لسان الحميري، فيقول: "وزي ثقيف الأقبية المصبغة بالورس والعصفر، ويحزمون على أوساطهم ملاءات القطن الرقاق وعليها البرود العجيبة"^(١٣).

(١) لعشوري: الحرف والمهن في الدولة الإسلامية، ص ٧٤.

(٢) الكناني: الطائف قبل الإسلام، ص ١٢٢.

(٣) العندم: وهو البقم، شجر له ساق أحمر يلون بمائه بعد أن يطبخ. ابن منظور: لسان العرب، ج ١٢، ص ٤٣٠.

(٤) الفرصاد: وهو التوت وله صبغ أحمر. الرازي: مختار الصحاح، ج ١، ص ٤٧.

(٥) الفوة: وهي عروق بنية يصبغ بها. ابن سيده، علي: المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هندواي، ج ١٠، ط ١ (١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م) ص ٥٤٤.

(٦) النكع: وهي ثمرة النقاوي، ولونها أحمر، وقيل: هي عروق حمراء لها نبت يسمو في رأسه حب شديد الحمرة كثير الماء، ويستخدم في الكتابة والنقش. الشيباني: الجيم، ج ٣، ص ٢٨٩.

(٧) الصرف: وهو صبغ أحمر اللون تصبغ به شرك النعال. المعافري، سعيد: الأفعال، تحقيق: حسين شرف، ج ٢، د. ط. (القاهرة: مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م) ص ٢٧٢.

(٨) اللك: وهو نبات يصبغ به الأدم، ولونه أحمر واللكاء الجلود المصبوغة بعصارة اللك.

(٩) الأرقان: نبات له عصارة حمراء. ابن فارس، أحمد: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ج ١، د. ط. (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م) ص ٨٣.

(١٠) العصفر: يستعمل لصبغ الأكل والملابس، وله فوائد طبية، والجزء المستعمل من النبات هو أمتعة أزهار العصفر يكون لون العصفر أصفر أو أحمر حسب نوع الزهرة، وقد عصفر الجاهليون ثيابهم بالعصفر. الشيباني: الجيم، ج ٢، ص ١٤٢.

(١١) الزعفران: وهو صبغ أصفر زاهي اللون.

(١٢) الكناني: الطائف قبل الإسلام، ص ١٢٣.

(١٣) الحميري: الروض المعطار، ص ٣٨٠.

٥- حرف الإعاشة:

أ- طحن الحبوب:

تعد الطائف مصدر إنتاج الحبوب الرئيسي في الحجاز؛ حيث تنتج الحنطة والشعير وغيرها من الحبوب، وكان لابد من طحن هذه الحبوب حتى تتحول إلى دقيق يمكن عمل الخبز منه؛ لذلك كانت تدق بين حجرين في بادئ الأمر، ثم أصبحت تطحن بين حجرين يكونان ما يشبه بالرحى، وكانت الرحى مكونة من حجر ثابت، وهو الأسفل والحجر العلوي وهو أصغر قليلاً من الحجر الأسفل به فتحة كانت توضع فيها الحبوب فتنزل إلى سطح الحجر الأسفل الثابت، وبذلك تكون بين الحجرين، ثم يحرك الحجر العلوي فتطحن الحبوب، وتخرج الحبوب طحيناً على قماشة أسفل الحجر الثاني الثابت وهو الأسفل وكان يوجد في الحجر العلوي مقبض أو فتحة توضع فيها خشبه متينة تشبه الوتد يمسك باليد ويحرك به الحجر^(١)، واستعمل سكان الطائف الطواحين الكبيرة التي تدار بالماء، وكذلك الطواحين الكبيرة التي تدار بالحيوانات، وكان لا يوجد بيت بالطائف إلا وبه رحى؛ حيث كانت حرفة طحن الحبوب داخل المنازل من الأعمال الأساسية للنساء، كما كانت تقوم به الخادמות في البيوت الكبيرة وعند الأثرياء^(٢).

ب- الخبازة:

تعد الخبازة وإعداد الخبز من الدقيق وكل ما يتصل بهذه الحرفة من إعداد الدقيق للخبز من الأعمال البيئية؛ أي: من الأعمال التي تتم داخل البيوت حيث تقوم النساء بتلك الحرفة، وقد احترف بعض الناس حرفة الخبازة؛ حيث كانوا يعدون الخبز من طحين القمح، أو الحنطة، أو الشعير، أو طحين الذرة، وكان سكان الطائف يعدون أنواعاً شتى من الخبز، فكان هناك الخبز الغليظ، والخبز الرقيق الذي كان يسمى الرقاق^(٣)، ولا زال معروفاً ومستعملاً حتى أيامنا هذه، وكان هناك الخبز الناشف الذي يمكن حفظه وخرزته لمدة طويلة، وهو ما يناسب ظروف السفر والترحال والقوافل التجارية التي كان يقوم بها تجار الطائف لنقل السلع الطائفية إلى البلاد الأخرى المجاورة، كما كان يدخر للشتاء، وكذلك الكعك، وهو نوع من الخبز اليابس، وكان يستعمل في الأسفار أيضاً؛ حيث يمكن أن يبقى فترة طويلة صالحاً ومحافظاً على طعمه ونكهته، وقد يحلى الخبز ويوضع فيه مادة سكرية الطعم، وقد يعجن بالدهن والسمن أو الزيت، أو يوضع عليه السمسم كما يفعل الخبازون اليوم، وقد كان يخبز في التور^(٤).

(١) علي: المفصل في تاريخ العرب، ج ٧، ص ٥٧٢.

(٢) عامر: الحرف والصناعات اليدوية، ص ٩٧.

(٣) النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٠١.

(٤) عامر: الحرف والصناعات اليدوية، ص ٩٧.

ج - الجزارة:

عمل بعض سكان الطائف بالجزارة، فقد كانوا يذبحون الذبائح ويبيعون اللحوم، أو يقومون بالجزارة للناس مقابل أجر يتقاضونه، أو مقابل جزء من الذبيحة يأخذونه، وكان يذبح من يحترف مهنة الجزارة الذبائح في البيوت مقابل ذلك الأجر، وكانوا يفضلون لحوم الإبل عن غيرها من اللحوم الأخرى، كما ذبح الجزارون الذبائح المختلفة من الماعز والأغنام والإبل^(١).

د - الطباخة:

كانت الطباخة من الحرف المعروفة عند سكان الطائف، وقد أوردت المصادر أسماء الأطعمة التي كان يستعملها السكان في معيشتهم، وكان من بين تلك الأطعمة أطعمة نقلها الرحالة والتجار من الدول المجاورة التي تعامل معها سكان الطائف تجارياً؛ فقد نقلوا أطعمة من الفرس والرومان، ومن هذه الأطعمة التي اقتبسوها من البلاد المجاورة: الخروق،^(٢) والخزيرة،^(٣) والربيكة^(٤)، وقد استعمل سكان الطائف طبابخات أو طباخين وخاصة في الولائم الكبيرة التي تقام في المناسبات، وكان من بين هؤلاء الطباخين طباخون من العجم لإعداد الطعام الأعجمي الذي لا يعرفه سواهم، على أن الطعام غالباً كان من التمر واللبن والسمن واللحم والدقيق الذي كان يصنع من الحنطة أو الشعير؛ فضلاً عن الدبس وهو عسل التمر^(٥).

٦ - الصناعات الطبية:

عرف سكان الطائف علم الطب قبل الإسلام، وتكونت معارفهم الطبية عن طريق التجارب والخبرات التقليدية المتوارثة في التداوي؛ كالكي، والحجامة، والتداوي بالأعشاب؛ بينما سافر البعض منهم إلى مختلف البلدان لدراسة الطب وتعلمه^(٦).

ظهرت مهنة الطب في الطائف عند الحارث بن كلدة الثقفي (١٤هـ/٦٣٥م)، وهو

(١) عامر: المرجع السابق، ص ٩٩.

(٢) الخروق: وهو طعام شبيه بالحساء، وهي من أصل فارسي، ويسمى -أيضاً- خورديك، وكانت تعدّ المرأة صاحبة البيت، وإذا كانت الأسرة ميسورة مادياً، فكانت تستخدم طباخين لإعداد ذلك النوع من الطعام. الزبيدي: تاج العروس، ج ٧، ص ٢٢٧.

(٣) الخزيرة ويقوم ذلك النوع من الطعام على اللحم والدقيق؛ حيث كان يوضع قدر به ماء على النار، ثم يقطع اللحم قطعاً صغيرة ويوضع في القدر بعد أن يكون قد غلي ماؤه، فإذا نضج اللحم وضع عليه الدقيق بعد أن يكون قد أضيف إليه الملح، وتلك الأكلة كانت من الأكلات الشهيرة بين أشرف الحجاز وأثريائها. ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٢٢٧.

(٤) الربيكة: وهو طعام يتكون من دقيق وسمن وتمر، وكان شائع الاستعمال في أنحاء شبه الجزيرة العربية. الزبيدي: تاج العروس، ج ٧، ص ٢٢٧.

(٥) عامر: الحرف والصناعات اليدوية، ص ٩٩ - ١٠٠.

(٦) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ١، ص ٦٥٠.

طبيب عربي مشهور له ببراعته في الطب، ويعرف بطبيب العرب في وقته، عاش في العصر الجاهلي وأدرك الإسلام، وتعلم في إحدى مدارس بلاد فارس. (١) وكان الحارث بن كلدة يتعلم المهارات الطبية من خلال التدريبات العملية التي كان يقوم بها، وكان يستفيد من التجارب التي يمر بها ومن تجارب الحكماء السابقين؛ فهو مع كونه يعالج المرضى ويصف لهم الدواء يضيف إلى ذلك إرشادات عامة يستفيد منها الناس في حياتهم، فقد أثرت عنه مقولات تعلمها في الطب، وتناقلها الحكماء من تجارب سابقة (٢)، وروى ابن إسحاق عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: "مرض سعد وهو مع رسول الله ﷺ - في حجة الوداع فعاده رسول الله ﷺ - فقال: يا رسول الله، ما أراني إلا لما بي، فقال رسول الله ﷺ: "إني لأرجو أن يشفيك الله حتى يضر بك قوم وينتفع بك آخرون"، ثم قال للحارث بن كلدة: "عالج سعدا مما به" فقال: "والله إني لأرجو شفاءه فيما ينفعه في رحله، هل معك من هذه التمرة - العجوة - شيء؟" قال: نعم، فصنع له الفريقة: خلط له التمر بالحلبة، ثم أوسعها سمنا، ثم أحساها إياه فكأنما نشط من عقال" (٣).

وكان للحارث ابن يدي النضر، أخذ الطب عن والده، فقد جال في البلاد، وعاشر العلماء من سائر المذاهب والملل، فحصل من العلوم القديمة قدرا هاما، واطلع على علوم الطب والفلسفة والحكمة وغيرها من العلوم التي نقلها إلى الطائف. (٤).

٧- حرفة تربية النحل وجني العسل:

تعد هذه الحرفة إحدى طرق الاستثمار الطائفي؛ حيث كان يربي النحل على أشجار الفاكهة المختلفة وأزهار الأشجار العطرية (٥) بمختلف أنواعها؛ وذلك لما تدر عليهم هذه الحرفة من فوائد على مر تاريخهم منذ العصر الجاهلي إلى الآن؛ نظرا لقيمة العسل كغذاء وشفاء، يقول جل وعلا: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ

(١) ابن جليل، سليمان: طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، ط ٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ص ٥٣ - ٥٤.

(٢) القفطي، جمال الدين: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦ م) ص ١٢٥.

(٣) أخرجه ابن منده وأبو نعيم. ابن الأثير: أسد الغاية، ص ٢٢٧. ابن أبي أصيبعة، موفق الدين: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: عامر النجار، ط ١ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٦ م) ص ٢٨٦-٢٨٨.

(٤) الواقدي، أبو عبد الله: المغازي، ج ١، ط ٢ (بيروت: دار الأعلمي، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م) ص ١٤٩. لعشوري: الحرف والمهن في الدولة الإسلامية، ص ٦٨.

(٥) معطي: تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام، ص ٦٥.

بَطُونَهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ (١).

اشتهرت مدينة الطائف بتربية النحل وكثرة إنتاج العسل؛ فقد كانت أكثر أرض العرب عسلاً (٢)، وكان إقبال العرب على عسل الطائف كبيراً حيث كان أفضل الأعسال وأنقاها وأغلاها.

وكان العسل الطائفي مما يهادى به في مكة والعراق وسائر بلاد العرب، وقد ذكر البلاذري أن أم سلمة زوج النبي - ﷺ - كان لها نسيب بالطائف يهديها عسلاً (٣)، وذكر أبو حنيفة الدينوري أن "السراة أكثر أرض الله عسلاً وعنباً وتيناً وزبيباً، والسراة كلها باردة لذلك كثر بها النحل" (٤).

إلى جانب ذلك يوجد العسل في مواضع أخرى في الكهوف المنتشرة بالجبال، وهي كثيرة بالطائف مثل جبل الردف (٥) الذي يكسبه أشجار كثيفة مثل الضرمة، وهو شجر طيب الرائحة ثمره كالبوط، وزهره كالزعر لثلك لذلك أصبح عسله من أفضل ما يجمع.

يستخدم النحال الطائفي وسائل بسيطة لتربية النحل؛ حيث كان يبحث عن أعشاش النحل في النباتات المنتشرة في المناطق الجبلية، ومن ثم يجمعه فيما يعرف بعسل النحل الحر، ثم يبدأ المربي في صناعة المناحل البدائية والمصنوعة من الأشجار المحلية كالطلح والسدر والسيال، ووضعها في الأراضي المنخفضة بين المناطق الجبلية، ويزيد إنتاج الطائف من العسل عن الاستهلاك المحلي، فيصدر قسم كبير منه إلى مكة (٦).

٨- صناعة النبيذ:

كانت صناعة الخمر والنبيذ من الصناعات الرائجة والمزدهرة في الطائف قبل أن يدخلها الإسلام، ويعد من أهم السلع الطائفية التي تحملها القوافل للبلاد المجاورة، ومن أشهر أنواع الخمر والنبيذ المصنوعة في الطائف ما يلي:

أ- نبيذ العنب:

تعتبر الطائف أبرز المناطق التي صنعت من أعنابها الخمر في الجزيرة العربية.

(١) سورة النحل: الآية (٦٩).

(٢) البكري: معجم ما استعجم، ج ٢، ص ٤٢٩.

(٣) معطي: تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام، ص ١٣٩.

(٤) الدينوري: كتاب النبات، ص ٢٦٣.

(٥) البلاذري: معالم الحجاز، ص ٦٨٨.

(٦) المقرئ: تقى الدين: رسائل المقرئ، تحقيق: رمضان البدرى وأحمد قاسم، ط ١ (القاهرة: دار الحديث، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م) ص ٢٩٨.

ودليلنا على ذلك الأخبار التي تواترت إلينا عن زراعة الطائفيين للأعناب وعصرهم لها وصناعة الخمرة منها. وكانوا يصنعون الخمرة في المرتفعات الجبلية بالطائف، ومن الخمور التي اشتهرت بها الطائف خمر يقال له: الإسفنت، وهو المطيب من عصير العنب، وكان تجار مكة يجلبون من الطائف الخمور والزبيب والأدم، وكانوا يستهلكون كثيراً من أعناب الطائف ورماتها؛ فالعنب وما يجفف منه من زبيب أحد عناصر الثروة الاقتصادية بالطائف^(١)، وكنوع من المبالغة في الكرم كان القرشيون وعلى رأسهم عبدالمطلب جد رسول الله - ﷺ - وابنه العباس بن عبدالمطلب يستقدمون نبيذ العنب والزبيب من أرضهم بالطائف ويخلطونه بالماء لكسر ملوحته ويقدمونه للحجاج بمكة قبل الإسلام^(٢).

وينظراً لكثرة الكروم عندهم، فقد كانت الأعناب تعصر وتصنع منها الخمرة والخل، أو تزب وتتبذ فتستعمل في الاستهلاك المحلي، وتصدر إلى الخارج. والدليل على ذلك أنه لما حرمت الخمر تحيرت ثقيف كغيرها ممن زرعو الكروم، كيف تصنع بأعناها. فعن ابن عباس أن عبدالرحمن بن ولة قال: "إن بأرضنا كروماً..."، وسأله ماذا يصنعون بالأعنا بعد تحريم الخمر. وفي رواية أخرى أن عمرو بن عبد الله الديلمي روى عن أبيه قال: "قدمت على رسول الله - ﷺ - فقلت يا رسول الله إنا أصحاب كرم، وقد أنزل الله - عز وجل - تحريم الخمر فماذا نصنع؟ قال تتخذونه زيباً"^(٣).

كانت طريقتهم في صنع الخمر تبدأ بجمع العنب في الجرين، فيغملونه في الزبيل فلا يرى الشمس حتى يشرب العنب ماء العيدان، ثم يعصرونه بالعواصر. والعواصر ثلاثة أحجار بعضها فوق بعض يسيل منها العصير وينزل على رقعته تعمل على تنقيته من الشوائب، ويسمى السلاف. وكان لهم أسلوب آخر وهو دوس العنب بالأرجل حتى تخرج العصارة ويسمى في هذه الحالة بالعصير^(٤)، ويذكر أن الحانات والمعاصر بالطائف كانت كثيرة بالطائف قبل أن يدخلها الإسلام، حتى أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - اضطر إلى أن يضرم النار في هذه الحانات والمعاصر. وقد ساهم اليهود في هذه الصناعة بالإضافة إلى الاتجار بها^(٥).

ب- نبيذ البتع:

وهو نبيذ يُتخذ من عسل النحل، سمي بذلك لشدة فيه؛ لأنه مأخوذ من البتع، وهو:

- (١) الكتاني: الطائف قبل الإسلام، ص ١٢٣.
- (٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ١٤٢.
- (٣) ابن حنبل: مسند الإمام أحمد ابن حنبل، ج ٢٩، ص ٥٧٨.
- (٤) حيدر، بادية: الخمرة في الحياة الجاهلية والشعر الجاهلي، رسالة ماجستير غير منشورة، دائرة اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى، الجامعة الأمريكية في بيروت، ١٩٨٦ م، ص ٣٩.
- (٥) حيدر: المرجع السابق، ص ٤٠.

الشدة والصلابة، يقال: بَتَعَ الخمر: إذا اتخذها من العسل. وهو مما أُسْكِرُ^(١). ولكن العرب لم تسمَّ الشراب المصنوع من العسل خمراً، وإنما سمته نبيذاً، وهو شيء يحوّل بالماء شراباً، أو بالماء نبيذاً^(٢).

ج- نبيذ التمر والبسر الملون:

كان سكان الطائف يصنعون الخمر من ثمر النخيل كما يفعل سكان الهند حيث كانوا يصنعونها من التمر، وقد كثر إنتاجه بالطائف نظراً لكثرة ما بها من نخيل، ولا يكون مسكراً إلا إذا اشتد وغلبت عليه صفة الخمرة. وكانوا يستخدمون أنواع الجرار والأواني فيتم تعبئتها بالتمر والبسر ثم تملأ بالماء، ثم توضع على النار. ويعد نبيذاً قبل أن يغلي، فإن غلى فهو خمر^(٣).

وشرب الخمر حرام بدليل من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وإجماع الأمة، ومن الجدير بالذكر أن تحريم الخمر كان بالتدرج؛ لأن العرب كانوا مولعين بها، فأول ما نزل بالنسبة لتحريم الخمر قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾^(٤)، فأقلع جزء من الناس عن شرب الخمر؛ لأن فيها إثماً كبيراً، واستمر جزء آخر في شربها، وقالوا: "نأخذ منفعتها ونترك إثمها"، ثم نزل قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾^(٥)، فتركها جزء كبير من الناس حتى لا تشغلهم عن الصلاة، واستمر آخرون في شربها في غير أوقات الصلاة حتى نزل قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْأَسْهَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٦)، إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾^(٧)؛ فحرمت تحريماً نهائياً في المدينة المنورة في العام الثالث للهجرة (٦٢٤-٦٢٥ م) حتى قال بعض الصحابة رضي الله عنهم: "ما حرم الله تعالى شيئاً أشد من الخمر"؛ إذ إن الله تعالى أكد تحريمها بتصدير الجملة بإنما، ثم جعلها من عمل الشيطان الذي لا يأتي منه إلا كل شر، وجعلها رجساً، وقرنها بعبادة الأصنام، ثم أمر باجتنابها وقرن اجتنابها بالفلاح؛ أي: إن في ارتكابها خيبة، وذكر ما يقع نتيجة لها

(١) الكناني: الطائف قبل الإسلام، ص ١٢٣.

(٢) الجاحظ، أبو عثمان: الحيوان، ج ٥، ط ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ) ص ٢٢٩.

(٣) الكناني: المرجع السابق، ص ١٢٣.

(٤) سورة البقرة: الآية (٢١٩).

(٥) سورة النساء: الآية (٤٣).

(٦) سورة المائدة: الآية (٩٠-٩١).

من التباغض والعداوة بين الناس، والصد عن سبيل الله تعالى، وتضييع الصلاة^(١)؛ وأما أدلة تحريم الخمر من السنة النبوية فهي كثيرة، ومنها قول النبي عليه الصلاة والسلام: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن"، وقوله ﷺ: "لعنت الخمر على عشرة أوجه: بعينها، وعاصرها، ومعتصرها، وبأثعها، ومبتاعها، وحاملها، والمحمولة إليه، وأكل ثمنها، وشاربها، وساقبها"^(٢).

وفي الطائف حرم شرب الخمر بعد قدوم أهلها وإسلامهم في السنة التاسعة من الهجرة (٦٣٠-٦٣١ م)، فقد طلبت ثقيف من الرسول ﷺ أن يبيح لهم شرب الخمر، قالوا: "أفرايت الخمر فإنه عصير أرضنا لا بد لنا منها، قال: إن الله حرمها وقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْكَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾" ، وهنا جاء تحريم الخمر في الطائف ومنع تصنيعه امتثالاً لأمر الله عز وجل^(٣).

وتأكيداً على حرمة الخمر فقد أوجب الله تعالى حداً لشارب الخمر، فيجد شارب الخمر أربعين جلدة بالسوط، فإن لم يرتدع زادت عن ذلك إلى أن تصل إلى ثمانين جلدة، كما فعل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- حيث كان يجد شارب الخمر أربعين جلدة، فلما رأى تهافت الناس فيها جمع الصحابة -رضي الله عنهم- وشاورهم في الأمر، فكان رأي علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أن يجلد ثمانين جلدة قياساً على حد الفرية؛ إذ إن شارب الخمر يهذي بسبب سكره ثم يفترى، فجلد عمر شارب الخمر ثمانين جلدة باقي أيامه، ويحد شارب الخمر بأحد أمرين: إما بإقراره شرب الخمر المسكر، أو بشهادة شاهدين على أنه شرب الخمر مختاراً؛ ومن الجدير بالذكر أن ما أسكر كثيره أو قليله فهو حرام، ويحد شاربه سواء سكر منه أو لم يسكر^(٤).

ومما سبق نجد أن الطائف إحدى المدن التي اعتمدت على الصناعات والحرف والمهن التقليدية، وكانت تلك الصناعات توفر متطلبات حياتية مهمة لأفراد المجتمع؛ فيما يُصدر الجزء الفائض من نتاج هذه الصناعات إلى خارج مدينة الطائف، لقد مارس سكان الطائف هذه الحرف والمهن وأقاموا هذه الصناعات اعتماداً على أساليب تقليدية ومعارف وخبرات توارثتها من الأجيال المتعاقبة، وأضافت إليها مما أتيح لها من الثقافات المنقولة، وكانت تحظى باهتمام كبير لكونها تمثل دخلاً لأفراد المجتمع كافة؛ هذا إضافة

(١) الإدريسي، أبو الفضل: واضح البرهان على تحريم الخمر والحشيش في القرآن، تحقيق: علي الطهطاوي، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥ م) ص ٢٠٣.

(٢) الإدريسي: واضح البرهان على تحريم الخمر والحشيش في القرآن، ص ٢٠٣.

(٣) ابن قيم: زاد المعاد، ص ٥٢٢.

(٤) الإدريسي: واضح البرهان على تحريم الخمر والحشيش في القرآن، ص ٢١٣.

إلى توفر المواد الأولية لتلك الصناعات في الطائف، وبعض المواد التكميلية أو الداخلة فيها التي تجلب من أسواق خارجية، وكانت تستوعب شرائح مختلفة من أفراد المجتمع للعمل فيها، وتسد احتياجات المجتمع الأساسية، وتشكل أهمية كبيرة في اقتصاد المدينة.

وجاءت أهمية الصناعات والحرف من الناحية الاقتصادية والاجتماعية لا كونها تغطي متطلبات السكان واحتياجاتهم فحسب، ولا كونها تشكل مصدراً للدخل؛ وإنما كانت مرتبطة بالنشاط الاقتصادي ثم بمتطلبات الحياة اليومية؛ كالصيد، والزراعة، والرعي، والثروة الحيوانية، ثم الصناعات التقليدية الأخرى؛ كبناء البيوت، والخيام، والسجاد، والأدوات المنزلية والصناعات الغذائية والدوائية، ثم الملابس والمنسوجات، ثم السيوف والخناجر، والعديد من الصناعات التقليدية، وكذلك المهن والحرف الأخرى. وعلى الرغم من بساطة تلك الصناعات -سواء في تركيبها والأدوات المرتبطة بصناعتها- إلا أنها كانت تجسد إضافة نوعية في اقتصاد الطائف آنذاك؛ الذي كان يتسم بقاعدته الإنتاجية العريضة والمتنوعة، من ناحية أخرى تأتي أهمية هذه الصناعات على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي من كونها قد خلقت فرص عمل لشريحة كبرى من الأيدي العاملة، وشملت هذه الصناعات مختلف أفراد المجتمع على مختلف أجناسهم (رجالاً ونساءً)، وأعمارهم (صغاراً وكباراً)، ومستوياتهم العلمية (المتعلم والامي)، وجعلت منهم أفراداً منتجين وفاعلين ومنتمين من أجل خدمة اقتصاد المدينة.

خامساً : النشاط التجاري والأسواق :

التجارة نوعٌ من الكسب الطيب الذي حث عليه الإسلام وأمر به، يقول جل وعلا: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْسُوا فِي مَنَاجِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ (٥)، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْنِعُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ (٦)، قال البغوي: "أي إذا فرغ من الصلاة فانتشروا في الأرض للتجارة، والتصرف في حوائجكم" (٧)، وقد روي أن رسول الله -ﷺ- سُئِلَ: أي الكسب أطيب؟ فقال: (عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور)، فقد رغبت الشريعة الإسلامية في التجارة المشروعة دون المساس بحدود الله، والابتعاد عن الكسب الحرام (٨).

(٥) سورة الملك: الآية (١٥).

(٦) سورة الجمعة: الآية (١٠).

(٧) البغوي، الحسين بن مسعود: معالم التنزيل، تحقيق: محمد النمر وآخرون، ج ٨، ط ١ (الرياض: دار طيبة، ١٤٠٩ هـ) ص ١٢٢.

(٨) ابن حنبل: مسند الإمام أحمد، ج ٢٨، ص ٥٠٢.

١- مقومات التجارة في الطائف:

(أ) موقع الطائف الإستراتيجي كونها إحدى محطات الطرق الرئيسية القادمة من الجنوب والشمال. (ب) استقرار الأوضاع السياسية بالطائف مما أدى إلى ازدهار النشاط التجاري، وزيادة الدخل، وانتعاش الأسواق؛ فأولت ثقيف اهتمامها بالطرق التجارية ومحطات القوافل، كما عقدت الاتفاقيات مع القبائل المجاورة لسلامة سير القوافل^(١). (ج) توفر وسائل النقل المختلفة التي تنقل من خلالها المواد من مكان إنتاجها إلى مكان تسويقها. (د) تعد الطائف محطة متكاملة للقوافل من حيث الخصب والماء وحصانة الموقع^(٢). (هـ) اشتهرت الطائف بوجود تجار مياسير^(٣) أسهمت علاقاتهم التجارية في انتعاش أسواق الطائف، وتسويق البضائع الطائفية خارج أسوار المدينة؛ فلم تقتصر تجارة الطائف على داخل المدينة فقط؛ بل كان لها تجارة خارجية وصلت للآفاق عن طريق القوافل التي تمر بها للشمال والجنوب^(٤). (و) إنتاج المواد المراد تسويقها مهما كان نوعها؛ سواء كانت مواد فلاحية كالمرزوعات، أو مواد صناعية كالمصنوعات الجلدية وغيرها؛ وقد ظهرت التجارة في الطائف لتصرف فائض إنتاجها عن طريق البيع والشراء من أجل إشباع حاجات الفرد^(٥).

٢- التجارة الداخلية:

تميزت الأوضاع الاقتصادية الداخلية بالطائف بالاكتماء الذاتي والفائض من المنتجات الزراعية والصناعية، وتصدير هذه المنتجات إلى المناطق المجاورة وخاصة مكة التي تعد سوقها التجاري الأول لتصريف منتجاتها الزراعية والصناعية؛ كالزبيب، والحنطة، والأدم الطائفي، وكان بها حركة تجارية نشطة تمثلت بأسواقها المحلية الزاخرة بمنتجاتها المختلفة.

أ- طرق التجارة الداخلية:

اعتمد التجار في الطائف مسالك لقوافلهم توافر فيها عدد من العوامل الطبيعية والبشرية التي تحكمت في الطريق واتجاهه، يأتي في مقدمتها وجود الموارد المائية؛ كالآبار، والعيون، والمسطحات الخضراء؛ حيث تنزل عليها القوافل للراحة والتزود بالماء والعلف، وكان للماء أثر واضح في تحديد معالم الطرق التجارية الداخلية والخارجية،

(١) ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ١١-١٢.

(٢) البغدادي، صفي الدين: مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد الجاوي، ج ٢، ط ١ (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م) ص ٨٧٧.

(٣) الحميري: الروض المعطار، ص ٣٧٩.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٧٥.

(٥) ابن بطوطة: تحفة النظار، ج ١، ص ١٤٦.

كما أن توفير الأمن للقوافل التجارية كان من أهم العوامل التي ساعدت على تطور طرق التجارة في الطائف وازدهارها، وكان لقبيلة ثقيف دور في حماية هذه القوافل، ومن الطرق التجارية الداخلية:

١ - طريق الطائف - مكة :

وهو من الطرق المهمة التي كان يسلكها التجار لنقل مختلف البضائع والحاصلات الزراعية من الطائف لأسواق مكة المكرمة، وقد ارتبطت مكة بالطائف بعدة طرق، أولها يبدأ من قرن المنازل^(١) فيتوجه نحو بئر ابن المرتفع^(٢)، إلى أن يصل إلى مكة^(٣). والطريق الثاني يسمّى العتيق ويسير من الطائف ماراً بعدد من المنازل والأودية حتى يصل ناحية مكة، ويتميز هذا الطريق بقصره عن الطريق الأول. والطريق الثالث يبدأ من الطائف فينزل بعقبة خفيفة، ثم يمر بعقبة حراء^(٤)، ثم بطن النعمان^(٥) حتى يصل عرفات^(٦) متجهاً إلى مكة^(٧). وطريق يسمّى المناقب يصل الطائف بمكة عن طريق جبل معترض، وسمي بذلك لأن به ثنياً وطرقاً تصل إلى اليمامة ونجد واليمن. وقد ارتبطت القريتان بطرق أخرى فرعية كطريق يعرج، ويعرج جبل بنعمان فيه طريق للطائف، وهذا الطريق الجبلي من أسهل الطرق التي يسلكها التجار والمارة بين مكة والطائف^(٨)، وجبل كرا به ثنية عليها طريق يربط الطائف بمكة، ويعد هذا الطريق من أقصر التي تسلكها القوافل إلى مكة^(٩).

٢ - طريق الطائف - الحسا :

وهو طريق ينطلق من الطائف ماراً بمطار إحدى قرى الطائف، متوجهاً نحو الثريا وهي بئر بمكة، يليها جرع، ثم سربا، ثم فلج. وفلج موضع في طريق البصرة إلى الكوفة

(١) قرن المنازل: من مواقيت الحج، وهو ميقات أهل نجد، ويسمى الآن السيل الكبير، وما زال يسمّى قرناً والبلدة تسمى السيل، وهو على طريق الطائف من مكة المار بنخلة اليمانية. ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٢٢. البلادي، معجم معالم الحجاز، ص ١٢٧٢.

(٢) بئر ابن المرتفع: بئر بمكة معروفة منسوبة إلى المرتفع بن النضير بن الحارث، وتسمى بئر البرود، من أعذب المياه في مكة، ويطلق عليها بئر ابن حواس. الفاكهي: أخبار مكة، ج ٤، ص ١١٨. البكري: معجم ما استعجم، ج ٤، ص ١٢٠٩.

(٣) ابن خردادبة، عبيد الله: المسالك والممالك، د. ط. (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٨٩ م) ص ١٢٤. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ١، ص ١٤٤.

(٤) عقبة حراء: عقبة في أسفل جبل حراء على بعد ثلاثة أميال من مكة. ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٢٣.

(٥) نعمان: واد يقع في شرقي مكة، وهو أكبر أوديتها، وله روافد وعيون كثيرة. ياقوت: المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٩٣.

(٦) عرفات: عرفة أو عرفات هو جبل يقع على الطريق بين مكة والطائف. ياقوت: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٠٤.

(٧) ابن رسته، أحمد: الأعلاق النفيسة، د. ط. (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٩٣ م) ص ١٨٣.

(٨) ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٢٨.

(٩) ياقوت: المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٤٢.

وفيه منازل للحاج، ويخترق هذا الطريق بلاد اليمامة حتى يصل إلى الحسا^(١).

٣- التجارة الخارجية:

زاد موقع الطائف الطبيعي على طرق القوافل من أهميتها مركزاً تجارياً يصل جنوب شبه الجزيرة العربية بشمالها؛ مما هيا لها سوقاً رائجة لمختلف السلع الطائفية.

أ- طرق التجارة الخارجية:

١- طريق البخور عبر الأودية الشرقية:

يطلق جمهور الباحثين على المحطات التجارية الواقعة على طريق البخور اسم مدن القوافل. فيما يرى باحث آخر أن هذه المحطات ليست سوى قرى أو حواضر لقبائل عربية. ومن خلال الدراسة تبين لنا أن معظم هذه المحطات كانت قرى وحواضر عربية تحول البعض منها إلى مدن للقوافل مثل الطائف ومكة وكانت هذه المدن تزود القوافل بما تحتاج إليه، وتعتمد عليها في حياتها الاقتصادية.

ينطلق هذا الطريق من قنا، وهي مدينة تقع على ساحل خليج بحر العرب جنوب اليمن، ويتجه الطريق نحو الشمال الشرقي إلى مأرب حتى يصل إلى نجران، وهي مدينة تقع في جنوب شبه الجزيرة العربية، في القسم الجبلي الذي اصطلح على تسميته بمنطقة السروات، وتتوسط بين عدة مدن: صنعاء وصعدة وأجزاء من بلاد اليمن جنوباً، وبلاد اليمامة وأجزاء من مخلاف جرش شمالاً، والبحرين وهجر والفلاة شرقاً. وعندما تخرج القوافل التجارية من نجران تتحرف قليلاً باتجاه الشمال الشرقي إلى أن يصل إلى محطة تجارية تسمى حبونن (حبونا)، وتواصل القوافل طريقها باتجاه وادي حبونن الذي يعد من أهم مناهل العرب المشهورة مما جعله من محطات طريق البخور، وقد كانت القوافل تقطع المسافة بين وادي نجران وحبونن في يوم واحد. ثم يخرج السالك لطريق البخور من حبونن متجهاً إلى تثليث على بعد ثلاث مراحل ونصف من نجران. ثم يمر الطريق بأرض تسمى بيشة وهي من أخصب منازل طريق البخور. ثم يسير السالك لطريق البخور من بيشة مسافة يوم واحد وينزل تبالة، وهو بلد وواد بينه وبين الطائف ستة أيام. ثم يخرج السالك لهذا الطريق من وادي تبالة حتى ينزل قرية القريحاء (رنية) وكان بها منهل ومعلف للقوافل التجارية. وتتجه القوافل من القريحاء شمالاً إلى تربة، وهي قرية على واد يحمل الاسم نفسه، حتى ينزل الصفن وهو منهل تأتيه الأعلاف من مطار من نواحي الطائف. ثم تنزل القوافل التجارية بالفتق، إحدى قرى

(١) خسرو، ناصر: سفرنامه، ترجمة: يحيى خشاب، ط ٢ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢ م) ص ١٥٢ - ١٥٨.

الطائف، وكانت الفتق منهل ومعلف في الوقت نفسه للقوافل التجارية، وزاد من أهمية هذا المنزل قربه من سوق عكاظ. ثم تمر القوافل بمواضع من جرداء سوق عكاظ أحد أعمال الطائف، ثم يتجه نحو قرن المنازل، حتى يصل إلى مكة المكرمة^(١) ثم يتوجه نحو يثرب وخبير والعلا ومدائن صالح، ويفترق الطريق بعد ذلك: طريق يمر بتيماء وصولاً للعراق، وطريق يصل للبتراء وغزة ثم الشام ومصر، ويُعدّ الطريق الرئيسي لتجارة البخور الذي ينقل عبره من اليمن وصولاً إلى جميع أنحاء العالم بواسطة الجمال، وكانت القوافل العابرة عبر هذا الطريق محملة بالبخور واللبان والتوابل ومختلف المنتجات اليمينية^(٢).

٢- طريق البخور عبر الهضبة الجبلية (طريق أسعد الكامل):

سمي هذا الطريق بهذا الإسم نسبة إلى الملك الحميري أبي كرب أسعد الكامل - عاش في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الميلاديين)، إذ أنه أول من أنشأ هذا الطريق وصف أجزاءً منه بالحجارة بين ظفار عاصمة حمير والطائف، ثم سمي فيما بعد بدرب الفيل بعد حادثة أبرهة الحبشي^(٣). تسير القوافل من صنعاء باليمن إلى صعدة نحو سبع مراحل. ثم تخرج القوافل شمال غرب صعدة حتى تصل إلى العرقة، وهي منزل في جبل لقبيلة همدان. ثم يمر السالك لهذا الطريق بمجموعة من الأودية حتى يصل إلى قرية المهجرة على مسيرة اثني عشر ميلاً من العرقة، ثم تتوجه القوافل إلى أرنب على بعد خمسة وعشرين ميلاً، ثم ينزل السالك لهذا الطريق في سرور القيض، وهو مجمع أودية تفيض في وادي تثليث. وبعد مسيرة ستة عشر ميلاً من سرور القيض ينزل السالك لدرب أسعد الكامل بالثجة، وهي منزل للقوافل ومنهل قديم تعرف حالياً بالحرجة. ويخرج الطريق من الثجة إلى كتنة ثم بينيم، وبعد أن تقطع القوافل مسافة عشرين ميلاً تصل إلى منزل يعرف باسم بنات حرب، ثم يمر بالجسداء متوجهاً نحو بيشة بعبطان. ثم تخرج القوافل من بيشة بعبطان متجهة إلى تبالة حيث تلتقي بطريق البخور عبر الأودية الشرقية نحو الطائف ثم مكة^(٤). ويذكر أن

(١) العمري، هادي: طريق البخور القديم من نجران إلى البتراء آثار اليمن الاقتصادية عليه، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م، ص ٥٦-٨٧. البكري: معجم ما استعجم، ج ٤، ص ١٢٢٨. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٢٣-٢٧٤. ابن الجاور: تاريخ المستبصر، ص ٥١.

(٢) قروم، نايف: اللبان والبخور دراسة لتجارة البخور العربية، ترجمة: عبد الكريم عبدالله الغامدي، د. ط. (الرياض: جامعة الملك سعود للنشر العلمي، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م) ص ٣٠٢-٣٠٤. مهران، محمد: دراسات في تاريخ العرب القديم، د. ط. (القاهرة: دار المعرفة الجامعية، د. ت) ص ١٣٤-١٣٥. أبو العلا، محمد: جغرافية المملكة العربية السعودية، ج ٢، ط ٥ (القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٨٦ م) ص ١٣٨-١٣٩. الجرو، أسهمان: طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم. مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج ٢، ع ٣ (عدن: دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ١٩٩٩ م) ص ٢٣.

(٣) العمري: طريق البخور القديم، ص ٨٩.

(٤) ابن خردزابه: المسالك والممالك، ص ١٣٤-١٣٦. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٢٣-٢٧٤. العمري: طريق البخور القديم، ص ٨٩-١٠٦.

أبرهة الحبشي الذي خرج من اليمن إلى الحجاز (٥٣ ق هـ / ٥٧١ م) لهدم الكعبة قد اتخذ طريقاً له، كما سلكه من قبله أبو كرب الملك الحميري للوصول إلى مكة والمدينة. ومنذ ظهور الإسلام أصبح هذا الطريق من الطرق الرئيسية، فكان يسلكه الصحابة رضوان الله عليهم، كما يسلكه التجار وطلبة العلم^(١).

٤ - وسائل النقل؛

تعد وسائل النقل من أهم العوامل المهمة لاستمرار التجارة، وقد تعددت الوسائل في شبه الجزيرة العربية عامة والطائف خاصة، فكانت الحمير أول وسيلة استخدمتها التجار لنقل البضائع، وإلى جانب الحمير استخدمت البغال وسيلة أخرى لنقل البضائع، وكانت تستخدم الحمير والبغال لنقل البضائع الخفيفة لمسافات بسيطة كونها تحتاج للماء والعلف باستمرار، واستخدمت الخيول - كذلك - في نقل البضائع وكانت أسرع من غيرها وأكثر تحملاً. أما الجمال فكانت الوسيلة الرئيسية لنقل البضائع، فهي تحمل ضعف ما تحمله الحمير والبغال والخيول، وتقطع مسافات طويلة دون أن تتزود بالماء، وكانت الإبل توجد بالطائف بشكل غفير حتى إنها كانت من أهم مقاييس الثروة والجاه. وكان لمرور القوافل التجارية بالطائف وقوافل الحجاج أثر مهم في قيام الأسواق الدائمة والموسمية؛ حيث توافرت بها الشروط الأساسية لقيام الأسواق التجارية المتمثلة في وجود مواضع خصبة تتوافر بها المياه قريبة من المراكز الحضرية والتجمعات السكانية^(٢).

٥ - الأسواق؛

لغة: جمع سوق، وهو الموضع الذي يجلب إليه المتاع والسلع للبيع والابتياح^(٣)، وكانت الأسواق أشبه بالمعارض العامة لتجارة شبه الجزيرة العربية، وتعد بصفة دائمة أو أسبوعية أو دورية خلال العام، أو في مواسم معروفة، وقد كثرت أسواق الطائف كونها مدينة تميزت بفائض إنتاجها للعديد من السلع؛ إضافة لأنها محطة تجارية مهمة تمر بها القوافل، وتنقسم الأسواق بالطائف لقسمين هما:

أ - الأسواق الدائمة؛

تنتشر الأسواق الدائمة بشكل أكثر شيوعاً من الأسواق الموسمية؛ ولكنها أقل شهرة بسبب تركيزها على نشاط تجاري محدد وليس للترفيه، وبقية الأسواق الدائمة عبارة

(١) ابن جريس، غبتان: دراسات في تاريخ تهامة والسرارة خلال العصور الإسلامية المبكرة (ق ١ هـ - ق ١٠ هـ / ق ٧ م - ق ١٦ م)، ج ٢، ط ١ (د.م. د.ن، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) ص ٣٤٨-٣٤٩.

(٢) علي: المفصل في تاريخ العرب، ج ٧، ص ٣١٧.

(٣) هارون، نبيل: المعجم الوجيز، ط ٢ (القاهرة: دار التحرير للطبع والنشر، ١٩٨٩ م) ص ٣٢٩.

عن مكان مفتوح؛ حيث يجلب التجار بضائعهم في النهار وتزال في الليل، واشتهرت أسواق الحجاز عموماً والطائف بشكل خاص بحسن التنظيم والترتيب، ومن أبرز أسواقها الدائمة: سوق المشرق^(١) وسوق العيلاء الذي تحول فيما بعد لسوق أدبي يقصده الشعراء حتى أواخر العصر الأموي^(٢). وانتشرت الأسواق الدائمة التي امتازت بالتخصصية في أرجاء الطائف كافة، ومن أشهر الأسواق التخصصية:

(*) أسواق الإعاشة:

وهي الأسواق التي تباع فيها المنتجات الزراعية والمأكولات والأطعمة كافة التي تنتج محلياً؛ فقد تميزت أرض الطائف بوفرة المحصول وبيع فائضه وتصديره على المدن والقرى المجاورة لها، وقد تخصصت بعض الحوانيت والأسواق ببيع الحنطة والذرة، وبيع الألبان ومشتقاتها، والتمر والرطب بأنواعها المختلفة كافة، وكذلك الفاكهة التي اشتهرت الطائف بتنوعها ووفرة إنتاجها؛ كالرمان، والعنب، والزبيب، وحوانيت للبقالين والجزارين.

(*) أسواق الحرف الصناعية:

تعددت الحرف الصناعية بالطائف وتميزت في بعضها، فكان لها أسواق يُباع فيه الأدم، وهو سوق رائج وذائع الصيت كانت الفرس تستجلب منه أدمها، وهناك أسواق للرباغين تبتعد عن التجمعات السكانية نظراً لنتانة رائحتها، وكان لهذا السوق رواج كبير في عيد الأضحى المبارك؛ حيث يستفيد الرباغون من جلود الأضاحي والهدى فيشترونها ويدبغونها وتعرض بعد ذلك للبيع، ويلى هذا السوق سوق للحذائين والخرازين حيث يعتمد كل منهم على أسواق الأدم والرباغة؛ وبالطائف -أيضاً- أسواق للخياطين، والحدادين، والصياقلة، والقواسين، والحطابين، والنجارين، والغزالين، والبزازين، والصباغين، والخواصين، وللعطارين -أيضاً- سوق رائجة بالطائف^(٣).

(*) أسواق الدواب:

تختص هذه الأسواق ببيع الأغنام والبقر والدواجن والطيور بأنواعها كافة، وقد أمر عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أن تكون أسواق الدواب بعيدة عن المناطق

(١) سوق المشرق: ذكر عند البعض باسم المشقر. البغدادي: مرصد الاطلاع، ج ٣، ص ١٢٧٤. السكري، أبو سعيد: شرح أشعار الهدليين، تحقيق: عبدالستار فراج، ج ١، د. ط. (القاهرة: دار العروبة، د. ت) ص ١٠. البكري: معجم ما استعجم، ج ٤، ١٢٢١. ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٢٣.

(٢) الرشيد، ناصر: سوق عكاظ، ص ١٦٧.

(٣) الرشيد، ناصر: سوق عكاظ، ص ٥٥ - ٥٦.

السكانية في مكة^(١)، وجرى ذلك في باقي مدن الحجاز، ويلاصق هذه الأسواق أسواق التبانين والحطابين^(٢).

ب- الأسواق الموسمية:

وهي الأسواق التي تقام في مواسم محددة ومتعاقبة من كل سنة، وعكاظ سوق الطائف الموسمي، وتعد من أشهر أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، بل تعد السوق التجاري الأكبر لعامة أهل الجزيرة العربية، يحمل إليها من كل بلد تجارته وصناعاته، وتفردت من بين أسواق العرب من حيث المكانة، مما ساعدها على نموها وشهرتها، قيامها في الأشهر الحرم التي كان يحرم فيها القتال، ويأمن الناس فيها أموالهم وأنفسهم، وكانت تتعقد في هذه السوق المؤتمرات والندوات الدينية والسياسية والعسكرية والاجتماعية والأدبية^(٣).

وعكاظ أرض مستوية ذات نخل لا جبل فيها وراء قرن المنازل بمرحلة من طريق صنعاء من عمل الطائف وعلى بريد^(٤) منها، بينها وبين مكة ثلاث ليال^(٥) وقيل: عكاظ هي دار ثقيف^(٦)، لهم فيها نخل وأموال^(٧)، ويقوم على شؤونها قبيلة هوازن، ومن بطونها ثقيف، وبنو نصر، وبنو هلال^(٨).

أما اشتقاق عكاظ ولم سميت بهذا الإسم فقد ذهب اللغويون فيه مذاهب، وقلبوا الكلمة على معانيها المختلفة: فالقهر والحبس وردّ الفخر والتجادل والتجاج. كل هذه معانٍ للعكظ، وكلها صالحة لأن يعلل بها التسمية، فيقول قوم: سميت عكاظ لأن العرب كانت تجتمع فيه فيعكظ بعضهم بعضاً في المفاخرة: أي: يقهره ويعركه، وقال آخرون: إنها من تعكظ القوم

(١) الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ٧٥٢.

(٢) العليان، خالد: الأسواق التجارية في الحجاز واليمن منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر العباسي الأول (١-٢٢٢ هـ / ٦٢٢-٨٤٦ م)، رسالة ماجستير منشورة، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، ١٤٢٢ هـ / ٢٠١١ م، ص ١٦٩.

(٣) الفراهيدي: العين، ج ١، ص ١٩٥.

(٤) البريد: وحدة قياس قديمة تبلغ اثني عشر ميلاً عند أهل البادية، وبالشام وخراسان ستة أميال. ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٥.

(٥) الفيومي، أحمد: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط ٢ (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٠٨ هـ / ١٩٩٧ م) ص ٢٢٠. الحميري: الروض المعطار، ص ٤١١. الأزرقى: أخبار مكة، ج ١، ص ٢٨٢. البكري: معجم ما استعجم، ج ٣، ص ٩٥٩.

(٦) السكري: شرح أشعار الهذليين، ج ١، ص ٤٧.

(٧) البكري: معجم ما استعجم، ج ٣، ص ٩٦٢.

(٨) العصامي، عبد الملك: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ج ١، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م) ص ٢٤٠.

إذا احتبسوا لينظروا في أمورهم، وذهب غيرهم إلى أنها من التعاكظ بمعنى التفاخر^(١). واختلفت الأقوال في سنة نشأة وظهور هذه السوق، حيث ذكرت بعض المصادر أن نشأتها وظهورها كان بعد حادثة الفيل (٥٧٠ - ٥٧١ م / ٥٤ ق هـ - ٥٣ ق هـ) بخمس عشرة سنة^(٢)، وهذا القول عارضه بعض الباحثين المحدثين الذي يؤكد عدم دقة هذا التاريخ ومصداقيته، وذلك لأن حرب الفجار الثانية وقعت عام ٥٨٥ م في عكاظ أي نفس العام الذي افترض وجود السوق فيها، فإذا كان هذا التاريخ صحيحاً فمتى وقعت أحداث حرب الفجار الأولى؟ أما سعيد الأفغاني فيرى أن نشأة السوق كانت قبل سنة ٥٠٠ م^(٣). وبناءً عليه فإن تحديد وقت قيام ونشأة السوق يصعب تحديدها زمنياً إذ توجد الكثير من الإشارات والدلالات التي تؤكد صعوبة تحديد نشأته.

وأما مسألة اندثاره فيوجد رأيان: الأول؛ كما ورد على لسان من أرخوا وكتبوا عن السوق بأنه اندثر بمجيء الإسلام وانتشاره في الجزيرة العربية: "عكاظ اسم سوق كان للعرب يجتمعون فيها كل سنة شهراً، ويتناشدون ويتفاخرون ثم يفترقون، فهدمه الإسلام"^(٤)، وكانوا يقرب سوق عكاظ وذو المجاز، وهما سوقان معروفان، ومازالا قائمين حتى جاء الإسلام"^(٥). والرأي الثاني وهو الراجح، يقول البكري^(٦): "واتخذت سوقاً بعد الفيل بخمس عشرة سنة، وتركت عام خرجت الحرورية^(٧) بمكة مع المختار بن عوف سنة تسع وعشرين ومائة، فخرج الحرورية فنهبها فتركت إلى الآن" إذن فالقول الراجح أن السوق استمر إلى سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٦ م.

وقت انعقاد السوق متفق عليه في جل المصادر، أنه يبدأ في أول شهر ذي القعدة إلى العشرين منه، وذكر عن حكيم بن حزام قوله: "وكنت أحضر الأسواق، وكانت لنا ثلاثة

-
- (١) ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، ج ١، ص ٢٦٧. ابن دريد، أبو بكر: جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ج ٢، ط ١ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م) ص ٩٢٠. الفراهيدي: العين، ج ١، ص ١٩٦.
- (٢) الذهبي، شمس الدين: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ج ١، ط ٢ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م) ص ٢٣.
- (٣) العليان، خالد: الأسواق التجارية في الحجاز واليمن، ص ٢١١.
- (٤) الفراهيدي: العين، ج ١، ص ١٩٥.
- (٥) الجاحظ: الحيوان، ج ٧، ص ١٢٨.
- (٦) البكري: معجم ما استعجم، ج ٢، ص ٩٥٩.
- (٧) الحرورية: مصطلح يطلق للدلالة على فرقة الخوارج، نسبة إلى المكان الذي كانوا قد اعتزلوا فيه الخليفة الرابع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وفارقوا جيشه بعد قبوله مسألة التحكيم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان في موقعة صفين. وكان ذلك الموضوع يقال له: "حروراء" فسموا بالحرورية. ابن الأثير، عز الدين: جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق بشير عيون، ج ١٢، ط ١ (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٠ م) ص ٢٣٧.

أسواق: سوق بعكاظ يقوم صباح هلال ذي القعدة، فيقوم عشرين يوماً^(١).
 ويُعدُّ عكاظ سوقاً لكل البضائع المادية والأدبية، إضافة إلى البضائع المادية كالتمر،
 والسمن، والعسل، والخمر، والملابس، والإبل، فهو سوق للبضائع الأدبية، فيأتي الشعراء
 بقصائدهم لتعرض على محكمين من كبار الشعراء، معظمهم من قبيلة بني تميم،
 وفيه المفاخرة والمنافرة بين الناس، وربما قامت حروب بسبب منافرات قيلت في السوق؛
 كحرب الفجار (٤٣ ق هـ / ٥٨٠ م - ٣٣ ق هـ / ٥٩٠ م)^(٢)، ومن الممكن أن يرى زائر
 السوق بعض الآباء يعرض بناته للترجيع، وقد يحضر السوق بعض الخطباء كقس بن
 ساعدة الإيادي^(٣)، وقد دخله النبي ﷺ - يعرض نفسه على القبائل ليحموه فيبلغ
 دعوة ربه^(٤).

وكان للسوق صنم يسمى جهاز لهوازن، وكان سدنته آل عوف النصريون، وكانت
 هناك -أيضاً- صخور يطوفون بها ويحجون إليها^(٥). وسوق عكاظ يُعدُّ موسمًا من
 مواسم الحج في الجاهلية، فكانوا يذهبون إليه قبل منى، قال الأزرقى: "وكانوا يرون أن
 أفجر الفجور العمرة في أشهر الحج، تقول قريش وغيرها من العرب: لا تحضروا سوق
 عكاظ ومجنة وذو المجاز إلا محرمين بالحج"^(٦)، فتبين من ذلك أن عكاظ موسم من
 مواسم الحج عند العرب في جاهليتها يسبق الوقوف بعرفة، ولأجل هذا التجمع الكبير
 لهؤلاء الحجاج استغل سوقاً أدبياً وتجارياً.

وعلى كثرة أسواق العرب التي أوصلها البعض إلى سبع عشرة سوقاً في أنحاء
 متفرقة من شبه الجزيرة العربية؛ فإن سوق عكاظ أكبرها وأهمها وأكثرها زواراً،
 وقيل: "إن كل شريف إنما كان يحضر سوق بلده إلا سوق عكاظ فإنهم كانوا يتوافون بها
 من كل جهة؛ فكانت أعظم تلك الأسواق"^(٧).

(١) الجوزي، جمال الدين: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ج ٥، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م) ص ٢٧٢.

(٢) حرب الفجار: هي إحدى حروب العرب في الجاهلية، وحصلت بين قبيلة كنانة ومنها قريش، وبين قبائل
 قيس عيلان ومنهم هوازن، وغطفان، وسليم، وتقيف، ومحارب، وعدوان، وفهم، وسميت بالفجار لما استحل
 فيه هذان الحيان من المحارم بينهم في الأشهر الحرم، ولما قطعوا فيه من الصلوات والأرحام بينهم. ابن
 كثير، أبو الفداء إسماعيل: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ج ١، د. ط. (بيروت: دار المعرفة
 للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م) ص ٢٥٥.

(٣) قس بن ساعدة: شاعر وحكيم من حكماء العرب قبل الإسلام. ابن الجوزي، جمال الدين: مثير الغرام
 الساكن إلى أشرف الأماكن، ط ١ (القاهرة: دار الحديث، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م) ص ٣٢٢.

(٤) ابن كثير: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥٥.

(٥) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٣.

(٦) الأزرقى: أخبار مكة، ج ١، ص ٢٨٣-٢٨٤.

(٧) البغدادي، عبد القادر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج ٤، ط ٤
 (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م) ص ٤٧٣.

وتكتظ عكاظ كل مرة بالمتسوقين والباعة الذين يأتونها من كل حذب وصوب مهما كانت الظروف، وقد حضرها في موسم واحد حوالي تسعون ألفاً من قريش وأحلافها فقط^(١)، وتتوزع زوار عكاظ من أهل البدو والحاضرة والعرب والعجم، كما كان للنساء دور كبير في عرض السلع وبيعها^(٢).

٦- السلع التجارية :

أ- سلع محلية :

ويقصد بها السلع التي تجلب لعكاظ من الطائف وبلاد الحجاز، ومن أبرزها :

التمور بأنواعها كافة التي تأتي من الطائف والمدينة المنورة، ومن أشهرها التمر الصيحاني، والبرني، والعجوة، والعيصي^(٣)؛ والخضار والبقول؛ كالخس، والجزر، والفجل، والكراث، والبصل، والقرع، والقثاء، والبادنجان وغيرها من الخضار؛ وأنواع مختلفة من فاكهة الطائف وحبوبها التي اشتهرت بجودتها ولذتها؛ كالغنب، والزيب، والحنطة. وكانت قبيلة عبد القيس تأتي بلاد البحرين إلى عكاظ وتكثر من شراء الزيبي الطائفي لأن أرضهم لا تنتج^(٤).

ومن السلع التجارية بعكاظ الحيوانات؛ كالإبل، والأغنام، والخيول، والبقر؛ والحيوانات الداجنة ومنتجاتها كافة من اللحوم والشحوم والسمن، ومن أغرب ما يبيع من الحيوانات في عكاظ القروء^(٥). ومن أبرز البضائع الطائفية التي جابت أصقاع الشرق والغرب الأدم الطائفي، يُذكر أن كسرى كان يرسل لطيمته إلى عكاظ ليشتري بها من أدم الطائف ما يحتاج إليه^(٦)، ولم تشتهر عكاظ بشيء مثلما اشتهرت بالأديم حتى نسبة البعض إليها فقالوا: أديم عكاظي^(٧).

وتأتي المنسوجات والملابس في مقدمة السلع المنتشرة بعكاظ؛ كالثياب الظهرانية، والأبرد الجوزية، والثياب المصنوعة من قماش القز، وكذلك السجاجيد الصوفية، والحبال والبسط التي كانت تأتي من الطائف والمدينة المنورة^(٨). وبعكاظ تباع الأسلحة الحجازية، والأقواس، والرماح، والسهام بمختلف أشكالها وأنواعها^(٩)؛ ومعظمها يأتي

(١) البغدادي: المنمق في أخبار قريش، ص ١٧٦.

(٢) حمور، عرفان: سوق عكاظ ومواسم الحج، ط ١ (بيروت: مؤسسة الرحاب الحديثة، ٢٠٠٠ م) ص ٥٩-٦٥.

(٣) آل الشيخ: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة، ١٢٢-١٢٣.

(٤) الواقدي: المغازي، ج ١، ص ٣٣٩.

(٥) الرشيد، ناصر: سوق عكاظ، ص ٥٥.

(٦) ابن حبيب، محمد: المحبر، تحقيق: إيلازة ليختن شتير، د. ط (بيروت: دار الآفاق الجديدة، د.ت) ص ١٩٥.

(٧) الزمخشري: أساس البلاغة، ج ١، ص ٦٧٢.

(٨) العليان، خالد: الأسواق التجارية في الحجاز واليمن، ص ٢٠٢.

(٩) حمور، عرفان: سوق عكاظ ومواسم الحج، ط ١ (بيروت، مؤسسة الرحاب الحديثة، ٢٠٠٠ م) ص ٩١.

من مدينة جرش التي تميزت بصناعة الأسلحة الثقيلة والخفيفة^(١). ومن السلع المباعة بعكاظ الحلي، والخواتم، والخلاخل، والأقراط المصنوعة من الذهب والفضة، والأواني المنزلية^(٢) كأواني البرام^(٣).

ب- سلع مستوردة:

تعد عكاظ ملتقىً تجارياً للسلع من جميع الأقطار؛ حيث يتوافد إليها التجار لعرض بضائعهم وبيعها، ومن أهم السلع المستوردة من اليمن الأصباغ؛ كالورس، والوسمة، والزعفران^(٤) التي تستعمل لصبغة الملابس والسجاجيد، وكذلك الأسلحة اليمنية؛ كالسيوف والدروع. واستوردت عكاظ مواد البناء من اليمن؛ كالجص، والرخام، والقصة^(٥). والثياب اليمنية ذات شهرة واسعة في الحجاز فاستجلبوا الثياب السحولية^(٦)، والعدنية، والصنعانية، والمعافرية^(٧)، والبرود اليمنية؛ واشتهرت جميعها بجودتها وثمنها الباهظ^(٨). وللمواد العطرية اليمنية رواج كبير في عكاظ مثل رواجها في أنحاء العالم؛ كاللبان والمر، ويذكر هيرودوت أن اليمن هي البلد الوحيد الذي ينتج اللبان والمر واللادن؛ مما جعلها تنفرد بإنتاجه دون منازع^(٩). ومن اليمامة والبحرين تأتي التمور والأسلحة؛ كالدروع، والأقواس، والسيوف، ومختلف الأطعمة، وأنواع المنسوجات والألبسة، وكذلك اللؤلؤ البحريني^(١٠).

(١) الواقي: المغازي، ج ٢، ص ٩٢٧.

(٢) حمور: سوق عكاظ، ص ٩١.

(٣) البرام: اسم حجارة تصنع منها القدور بمكة. ابن قرقول، أبو إسحاق: مطالع الأنوار على صحاح الآثار، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث الناشر، ج ١، ط ١ (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٢ هـ / ٢٠١٢ م) ص ٤٧٦.

(٤) الدينوري: كتاب النبات، ص ١٦٥ - ١٦٨.

(٥) الأزرقى: أخبار مكة، ج ١، ص ٢٩٩.

(٦) الملابس السحولية: تنسب لأهل قرية سحول اليمنية، تتميز بلونها الأبيض الناصر، ولها رواج في الحجاز. السمعاني، أبو سعد: الأنساب، ج ٢، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨ م) ص ٢٥٢.

(٧) سميت بذلك نسبة لقبيلة المعافر اليمنية، وتميزت ثيابهم بالدقة وجمال التصميم، واشتهروا بها في الجاهلية والإسلام. القلقشندي: نهاية الأرب، ص ٤٢٢. خلف، محمد: تاريخ القبائل العربية في العصر الإسلامي منذ الفتح حتى القرن الرابع الهجري، ط ١ (الإسكندرية: دار التعليم الجامعي، ٢٠٢٠ م) ص ٢٧٩.

(٨) العلي، صالح: المنسوجات والألبسة العربية في العهود الإسلامية الأولى، ط ١ (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ٢٠٠٢ م) ص ٢٤٨.

(9) Herodotus: The History of Heradouts, translated by: A. Godly, Vol.II (London: 1928) p135

(١٠) الجاحظ، أبو عثمان: التبصرة بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب التونسي، ط ٢ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م) ص ٣٢.

ويجلب لها من الشام كالأطعمة وزيت الزيتون، ومختلف الفاكهة والزجاج، ومن العراق يأتي الأديم الخفيف، والزعفران، والثياب العراقية. ومن بلاد مصر تأتي الحبوب، والمنتجات الحيوانية، والثياب، والقراطيس، والصابون، وبعض المعادن^(١)، ويجلب لها العاج والعنبر الأزرق، وأنواع الحبوب من بلاد السودان والحبشة؛ والثياب القطنية والحريير تأتيها من بلاد المغرب^(٢). وكانت تأتي القوافل حاملة شتى صنوف السلع من بلاد فارس، وأواسط آسيا، وبلاد الهند والسند، والصين؛ فيجلب منها المعادن، والأخشاب، وأنواع المنسوجات كالثياب الحريرية، والمواد العطرية؛ كالبخور والعنبر، والعود الهندي، وماء الجوري، والقرفل، والقرفة، وأنواع مختلفة من العقاقير^(٣).

٧- أساليب التعاملات التجارية:

أ- المقايضة:

وهي المعاوضة، يقال: قايضه في البيع بكذا؛ أي: أعطاه شيئاً بغير عوض^(٤). وهي نظام الصرف الذي تتبادل عبره البضائع أو الخدمات مباشرة بسلع أو خدمات أخرى دون استخدام وسيلة تبادل مثل المال، وكان نظام المقايضة رائجاً بين مكة والطائف حيث تتم مقايضة المنتجات الزراعية والحيوانية بالسلع المعروضة في أسواقها^(٥). ومن شروط المقايضة: ألا يكون البدلان فيهما نقداً، فإن كانا نقدين كان البيع صرفاً، وإن كان أحدهما نقداً فالبيع مطلق أو سلم. وأن يكون كل من البلدين في المقايضة عيناً معينة؛ لأن بيع شيء غير معين بأخر معين ليس مقايضة؛ بل هو من البيع المطلق؛ أي: بيع العين، ولأن المبيع إذا كان ديناً والثمن سلعة فهو من باب السلم. والتقابض في المقايضة، فلا يؤمر أحد العاقدين بالتسليم قبل صاحبه؛ لأن كلا من السلعتين متعين. وتكون المقايضة فيما لا يجري فيه ربا^(٦).

وللمقايضة سلبيات وعيوب منها: (أ) صعوبة إيجاد مقياس واحد للتبادل. (ب) عدم توافق رغبات البائع والمشتري في وقت واحد. (ج) صعوبة توفر وسيلة عامة صالحة لاختزان القيمة. (د) صعوبة توفر وحدة مناسبة للدفع الآجل. (هـ) صعوبة

(١) الجاحظ: التبصرة بالتجارة، ص ١٨.

(٢) العمري، ابن فضل الله: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج ٥، ط ١ (أبوظبي: المجمع الثقافي، ١٤٢٣هـ) ص ٩٢.

(٣) ابن خردادبة: المسالك والممالك، ٦٤ - ٦٩.

(٤) الحميري، نشوان: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين العمري وآخرون، ج ٨، ط ١ (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) ص ٥٧٠١.

(٥) ابن الجاور: تاريخ المستبصر، ص ٣٦.

(٦) الطيار، عبدالله وآخرون: الفقه الميسر، ج ٢، ط ١ (الرياض: مدار الوطن للنشر، ١٤٢٢هـ / ٢٠١١) ص ٢٠.

تجزئة بعض السلع^(١). وقد أدت الصعوبات السابقة إلى البحث عن وسائل يمكن من خلالها التغلب عليها؛ فكان الاتجاه نحو التركيز على المعادن لاستخدامها نقوداً لما لها من خصائص تمكنها من التغلب على الصعوبات.

ب- نظام النقود:

كان أهل الطائف بمجملهم يتعاملون فيما بينهم بالتبادل والمقايضة؛ إلا أنهم بتجارتهم الخارجية تعاملوا بالنقود مثل باقي العرب؛ كالنقود الساسانية، والبيزنطية، والحميرية (السبئية)، وكان بين العرب نقاد يميزون الصحيح من الزائف، والثقل من الخفيف، ولم يكن لهم سكة خاصة بهم؛ فيتداولون ما ورد إليهم من نقود عن طريق القوافل القادمة من الشام والعراق واليمن، ويأتيهم من الشام الدنانير والفلوس البيزنطية، ومن العراق الدراهم الساسانية، ومن اليمن الدراهم السبئية، وتعامل العرب بالدنانير البيزنطية أكثر من تعاملهم بغيرها^(٢).

وتعامل أهل الطائف بالجاهلية بالدينار البيزنطي وغيره من العملات وزناً كالتبر^(٣)، وليس عدداً، وكان وزن الدينار يقدر باثنتين وسبعين حبة شعير، أو ستة آلاف حبة خردل من الوسط، ويذكر المقرئزي أنواعاً مختلفة من الدراهم الفضية الساسانية التي شاعت عند العرب قبيل الإسلام، وكانت هذه الدراهم مختلفة الأوزان والأسماء، حيث هناك الدراهم السود الوافية، والدراهم الجواز، وكانت لهم دراهم تسمى جوراقية؛ إضافة إلى الدراهم الطبرية^(٤). ولما جاء الإسلام أقر الرسول ﷺ - السكة على ما كانت عليه في الجاهلية، وقد تعامل هو بنفسه بالدنانير البيزنطية والفلوس النحاسية، والنقود الساسانية المصورة (الدراهم)^(٥).

وقد فرض الرسول ﷺ - الزكاة على القطع النقدية المتداولة بين الناس - ففرض على كل عشرين ديناراً نصف دينار، وعلى كل ٥ أوقيات فضة خالصة خمسة دراهم هي النواة^(٦).

(١) العليان: الأسواق التجارية في الحجاز واليمن، ص ٣١٩.

(٢) المقرئزي، تقي الدين: رسائل المقرئزي، ط ١ (القاهرة: دار الحديث، ١٤١٩ هـ) ص ١٥٩. رضوان، هناء: النقود الإسلامية القديمة، مجلة الاجتهاد، مج ٩، ع ٣٤-٣٥ (بيروت: دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، ١٩٩٧م) ص ١٢٥.

(٣) التبر: الذهب والفضة قبل أن يعمل، وقيل: هو كل جوهر قبل أن يستعمل تبراً من النحاس والصفير. الفراهيدي: العين، ج ٨، ١١٧.

(٤) مبارك، علي: الأوزان العربية، مجلة المقتطف، مج ١٧، ع ٧ (القاهرة: مطبعة المقتطف، ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م) ص ٤٦٠-٤٦٣.

(٥) مبارك: المرجع السابق، ص ٤٦٠-٤٦٣.

(٦) أنس، مالك: المدونة، ج ١، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) ص ٣٠٢. رضوان: النقود الإسلامية، ص ١٢٥.

أما بالنسبة للأوزان فقد أقر الرسول ﷺ - الأوزان على ما كانت عليه، وكان أهل الطائف على ميزان أهل مكة^(١). وأقر أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - العملات مثلما كانت في عهد الرسول ﷺ، وأقر بجواز التعامل بالعملات ذات الصور الأدمية، والنقوش، والكتابات البهلوية واليونانية، ولم يغير شيئاً^(٢). وأبقى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على العملات المتداولة منذ عهد الرسول ﷺ - حتى كثرت البلاد المفتوحة، واستلزم الأمر ضرب عملة تختص بالدولة الإسلامية، وكانت العملات الأخرى قد كثرت بيد العرب فخشى - رضي الله عنه - أن تخلق مشكلة بالنسبة لمسألة الزكاة^(٣). وفي سنة (١٧ هـ / ٦٢٨ م) ضربت أول عملة عربية بأمر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت من مادة النحاس (فلس) على طراز عملة هرقل، وقد ورد عليها اسم أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - بأحرف عربية، ويُعد هذا الفلس أقدم فلس عربي^(٤). وأمر عمر بن الخطاب في سنة (١٨ هـ / ٦٢٩ م) بسك نقود من الفضة "الدراهم"، وكان بها نقوش كسروية مع زيادة عبارات عربية؛ كالحمد لله، ومحمد رسول الله، وعلى بعضها اسم عمر. ومما ميز النقود العربية عن غيرها أنها أرخت حسب التاريخ الهجري^(٥). وضرب عثمان بن عفان - رضي الله عنه - دراهم على طراز دراهم الخليفة عمر بن الخطاب، ونقش عليها صورة كسرى الثاني التاريخ البهلوي، وأضاف عليها كلمات عربية بالحروف الكوفية؛ كمحمد، وبركة، وبسم الله ربي، وكذلك كانت العملة بعهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(٦).

ج - الصيرفة:

تحويل وتبديل العملات النقدية من فئة إلى أخرى، وتحويل الدنانير إلى دراهم والعكس، ومعرفة الفرق بين العملات وأوزانها المختلفة، وكان الرجل يدفع الدينار إلى الصراف فيزنه ثم يعطيه بدلاً منه دراهم، وكان بعض الصيارفة يبيعون الذهب ويتاجرون في سلع أخرى؛ إضافة إلى إقراض النقود^(٧).

د - الرهن:

توثقة دين بعين يمكن الاستيفاء منها أو من قيمتها، وكان العرب في الجاهلية يرهنون

(١) المقرئزي: رسائل المقرئزي، ص ١٥٩.

(٢) المقرئزي: رسائل المقرئزي، ص ١٥٩.

(٣) المقرئزي: المصدر السابق، ص ١٥٩. رضوان: النقود الإسلامية، ص ١٢٧.

(٤) الحسيني، باقر: تطور النقود العربية والإسلامية، ط ١ (بغداد: مطبعة دار الجاحظ، ١٩٦٩ م) ص ٤١.

رضوان، النقود الإسلامية، ص ١٢٧.

(٥) المقرئزي: المصدر السابق، ص ١٦٠.

(٦) رضوان: النقود الإسلامية، ص ١٢٩-١٣٠.

(٧) الجوهرى: الصحاح تاج اللغة، ج ٤، ص ٣٨٦.

المال والبنون في سوق عكاظ، ولما جاء الإسلام أنكر الرهن بالولد، وأقر الرهن بالمال^(١).

معاملات تجارية حرّمها الإسلام بالطائف:

هـ- الربا:

ما يُزاد على أصل البيع أو الدين من مال دون حق، أو ما يُزاد بعد مدة معيّنة من الوقت بلا مقابل؛ فما يزداد على الأصل هو الربا؛ سواء كان في اللحظة نفسها، أو بعد فترة مخصوصة من الزمن^(٢).

وكان التعامل بالربا في الطائف متداولاً وشائعاً، وكانت ثقيف أكثر العرب تعاملًا بالربا، وقد اشترط عليهم الرسول ﷺ ألا يتعاملوا بالربا، وكان هناك أسرة منهم تضم أربعة إخوة هم: مسعود، وعبد ياليل، وحبيب، وربيعة، وهم بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفي، وكانوا يداينون بني المغيرة بن عبد الله بن عمير بن مخزوم، وكانوا يرابون، فلما أسلم هؤلاء الإخوة طلبوا رباهم من بني المغيرة، فقال بنو المغيرة: والله ما نعطي الربا في الإسلام وقد وضعه الله تعالى، فاختموا إلى عتاب بن أسيد وكان عامل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على مكة، فكتب عتاب إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - في ذلك، وكان ذلك مالا عظيما، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾^(٣).

و- السرار:

وهو نوع من البيوع اختص به سوق عكاظ، يقول ابن حبيب: " فإذا وجب البيع وعند التاجر ألف رجل ممن يريد الشراء ولا يريده؛ فله الشركة في الربح "^(٤).

ز- الرمي بالحصاة أو إلقاء الحجارة:

أن يجتمع النفر منهم على السلعة يساومون بها صاحبها، فأيهم رضي ألقى حجره، وربما اتفق في السلعة الرهط فلا يجدون بداً من أن يشتركوا وهم كارهون، وربما اتفقوا

(١) الرشيد، ناصر: سوق عكاظ، ص ٦٠.

(٢) المترك، عمر: الربا والمعاملات المصرفية في نظر الشريعة الإسلامية، تحقيق: بكر أبو زيد، د.ط (الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع، د.ت) ٢٩-٤٤. الساعاتي، عبد الرحيم: العلة الاقتصادية لتحريم ربا النسبئة والفضل، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، مج ٢٥، ع ٢٤ (جدة: جامعة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٣هـ / ٢٠١٢م) ص ٤٤-٤٤.

(٣) الطبري، أبو جعفر: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج ٦، ط ٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م) ص ٢٢-٢٣.

(٤) ابن حبيب: المحبر، ص ٢٦٧.

فألقوا الحجارة جميعاً إذا كانوا عدداً على أمر بينهم فيوكسون صاحب السلعة إذا تظاهروا عليه^(١).

ح- المنابذة:

أن يرمي الرجل إلى الرجل بثوبه وينبذ الآخر إليه ثوبه، ولم ينظر واحد منهما إلى ثوب صاحبه، فيكون ذلك بيعهما عن غير نظر ولا تراض^(٢).

٨ - الزكاة:

منذ أن أصبحت أرض الطوائف ضمن الدولة الإسلامية فرض على أهلها تأدية الزكاة الواجبة، قال الله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾^(٣)، وكانت الزكاة تقدر على حسب نوع الثمار ووزنها وفق شروط نصها الرسول ﷺ، وهنا بيان ذلك:

١- زكاة التمر والزبيب وغيرهما:

يقول عز وجل: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثَرَهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٤)، وجاء عن أنس بن مالك وابن عباس أنهما قالاً في قوله تعالى: (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ): إنها الزكاة المفروضة. وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ - أنه قال: "ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة، وليس فيما دون خمس أواق صدقة، وليس فيما دون خمس ذود من الإبل صدقة"^(٥)، والمقصود بالصدقة: الزكاة. ودل الحديث على وجوب الزكاة في التمر إذا بلغ خمسة أوسق.

وتجب الزكاة في الجبوب والثمار بشرطين^(٦): (أ) أن يكون مما يكال، ويحصل الكيل بالصاع ونحوه. (ب) أن يكون مما يدخر، فلا تجب الزكاة في الفواكه التي يتسارع إليها الفساد.

(١) المرزوقي، أبو علي: الأزمنة والأمكنة، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧ م) ص ٢٨٣.

(٢) ابن المنذر، أبو بكر: الإشراف على مذاهب العلماء، تحقيق: صغير أحمد الأنصاري، ج ٦، ط ١ (رأس الخيمة: مكتبة مكة الثقافية، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م) ص ١٧.

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٦٧).

(٤) سورة الأنعام: الآية (١٤١).

(٥) ابن زنجويه، أبو أحمد: الأموال، تحقيق: شاكر ذيب فياض، ج ٢، ط ١ (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م) ص ٩٠٥.

(٦) الزركشي، شمس الدين: شرح الزركشي على مختصر الخرق، ج ٢، ط ١ (الرياض: دار العبيكان، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م) ص ٤٦٨-٤٦٩.

والأصل إخراج زكاة التمر من التمر والزبيب من الزبيب لما جاء في حديث عتاب ابن أسيد أن رسول الله بعثه وأمره أن يخرص العنب كما يخرص النخل، وأن يأخذ زكاة العنب زيبيا كما يأخذ زكاة النخل تمراً^(١). أما الرطب فالأصل إخراج زكاته تمراً، ومثله العنب تخرج زكاته زيبياً، وقيل: يجوز إخراج زكاة الرطب منه وزكاة العنب منه، واختلف في التين، فقيل: لا تجب فيه الزكاة؛ لأنه ليس مما يكال ويدخر، وقيل: تجب فيه الزكاة؛ لأنه يجفف ويدخر، وقد جرت العادة على تجفيفه وادخاره دون تسارع الفساد إليه، قيل: "ليس في التين زكاة إلا أن يجمع ويبيس"^(٢).

واختلف في زكاة العسل، والراجح أنه ليس فيه زكاة أما إذا اتخذ العسل للتجارة فيجب عليه زكاته زكاة عروض التجارة لما رواه ابن أبي شيبه بإسناده عن عمرو بن شعيب أن أمير الطائف كتب إلى عمر بن الخطاب أن أهل العسل منعونا ما كانوا يعطون من كان قبلنا، قال: فكتب إليه: "إن أعطوك ما كانوا يعطون رسول الله ﷺ - فاحم لهم وإلا فلا تحمها لهم"^(٣) قال: وذكر عمرو بن شعيب أنهم كانوا يعطون من كل عشر قرب قرب، وما رواه ابن أبي شيبه بإسناده عن عطاء الخراساني عن عمر قال: في العسل عشر^(٤).

وتجب زكاة التمر ونحوه بشرطين: (أ) بلوغ النصاب، وهو خمسة أوسق؛ وإذا كان عند الرجل نخل في بيته وعنده نخل في مزرعته أو في بيت له آخر فيجمعه معه لتكميل النصاب، ويخرج زكاتها جميعاً، وإذا لم يكن عنده سوى النخل الذي في البيت، فإن بلغ نصاباً أخرج زكاته، ويضم أنواع التمر بعضها إلى بعض لتكميل النصاب، ولا يجمع التمر إلى الزبيب أو الأجناس المختلفة الأخرى بالاتفاق^(٥).

(ب) أن يكون النصاب مملوكاً له وقت الوجوب؛ ووقت الوجوب بالنسبة للتمر عند احمراره أو اصفراره، فإذا باع مالك النخل التمر بعد احمراره أو اصفراره فإن الزكاة تجب على البائع وليس على المشتري، وتجب الزكاة حتى وإن كان مالك المزرعة أو مستأجرها مديناً؛ لأن الحق ثابت في الثمر، والله يقول: "وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ"، وإذا حصلت جائحة بعد ذلك للتمر وهو على رؤوس النخل فلا يلزمه إخراج زكاته؛ لأن الحق

(١) العسقلاني، ابن حجر: بلوغ المرام من أدلة الأحكام، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، ط ١ (الرياض: دار القبس للنشر والتوزيع، ١٤٢٥ هـ / ٢٠١٤ م) ص ٢٤٧.

(٢) القرشي، أبو زكريا: الخراج، تحقيق: أحمد شاکر، ط ٢ (القاهرة: المطبعة السلفية ومكبتها، ١٢٨٤ هـ) ص ١٥٠.

(٣) أبو شيبه، أبو بكر: المصنف، تحقيق: كمال يوسف، ج ٢، ط ١ (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩ هـ) ص ٣٧٢.

(٤) الرجراجي، علي: مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل في شرح المدونة وحل مشكلاتها، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي وآخرون، ج ٦، ط ١ (الرياض: دار ابن حزم، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م) ص ١٢٥.

(٥) الشيباني، أبو عبد الله: السير الصغير، تحقيق: مجيد خدوري، ط ١ (بيروت: الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٥ م) ص ٢٨٠.

إنما يثبت عند سلامته؛ أما وقد أصابت ماله جائحةٌ ولم ينتفع به فليس عليه زكاة (١).

ومقدار الزكاة: أن يكون الاعتماد في السقي على الأمطار فيجب إخراج العشر من تمر ونحوه، وهو ما يعبر عنه الفقهاء بـ: "ما سقي بلا مؤنة" (٢). أو يكون الاعتماد في السقي على ما يخرج من مياه الآبار عن طريق الآلات والمعدات، فيجب إخراج نصف العشر، وهو ما يعبر عنه الفقهاء بـ: "ما سقي بمؤنة" (٣)؛ فعن النبي ﷺ قال: "فيما سقت السماء والعيون أو كان عثرياً العشر، وفيما سقي بالنضح نصف العشر" (٤). أو يكون نصف السنة كالحالة الأولى، ونصف السنة كالحالة الثانية "نصف السنة بمؤنة، ونصفها بغير مؤنة"، فيجب إخراج ثلاثة أرباع العشر (٥). والاعتماد في غالب السنة على السقي بمؤنة؛ لكن تأتي أمطار وسيول في أوقات متفرقة كأوقات الشتاء، فإن العبرة بغالب السنة، إلا لو قدر أنه بلغ ما يسقى بمياه الأمطار خمسة أشهر مثلاً، فما قارب الشيء يعطى حكمه.

وطرق إخراج الزكاة: (أ) أن يُخرص الثمر بعد بدو صلاحه، ثم يحدد المزكي عدداً من الأشجار للزكاة تساوي القدر الواجب. (ب) أن يُصرم الثمر ثم يكال ويخرج القدر الواجب. (ج) أن يُباع الثمر على رؤوس النخل بعد بدو صلاحه، ثم يخرج القدر الواجب من الثمن. (د) أن يبيع المالك أو المستأجر الثمر بعد صرمه، ثم يكال وزنه ويخرج القدر الواجب منه.

٩- المكايل والموازين والمقاييس:

أ- المكايل:

١- **الصاع:** وهو من أهم المكايل التي كان يستعملها أهل الطائف، وعرف -أولاً- عند أهل المدينة المنورة، واعتمده الرسول ﷺ -بعد الهجرة وحدة رسمية للمسلمين تقدر بها زكاتهم ونفقاتهم وخراجهم ومعاملاتهم التجارية الأخرى (٦). وقد أحدث

(١) الحنبلي، أبو مفلح: المبدع شرح المقنع، تحقيق: محمد حسن الشافعي، ج ٢، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م) ص ٣٣٩.

(٢) البعلبي، شهاب الدين: الروض الندي شرح كاي المبتدي، تحقيق: عبد الرحمن حسن محمود، د. ط. الرياض: المؤسسة السعيدية، ١٩٨١ م) ص ١٥٠.

(٣) البعلبي: المرجع السابق، ص ١٥٠.

(٤) أنس، مالك: الموطأ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ج ٥، ط ١ (أبو ظبي: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م) ص ٢٨٠.

(٥) المزني، أبو إبراهيم: مختصر المزني، د. ط. بيروت: دار المعرفة، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م) ص ١٤٤.

(٦) العليان: الأسواق التجارية في الحجاز واليمن، ص ٣٦٧.

الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- تغييراً بالصاع^(١)، فكبره خلاف ما كان عليه في عهد الرسول ﷺ؛ حيث مدّه إلى ثمانية أرطال، ويعادل الصاع بالإجماع أربعة أمداد، ويعادل ٤، ٢١٧٤ جرام تقريباً، ويسع باللتر ٢١٢٥، ٤ لتراً^(٢).

٢- المد: وهو من المكايل القديمة التي استخدمها العرب قبل الإسلام، وأقرها الرسول ﷺ -بعد الهجرة وحدة مكيال رسمية، واستخدمها أهل الطائف وحدة لكثير من العبادات والمعاملات التجارية، ويساوي رطلاً وثلاثاً، ويبلغ ٦، ٥٤٣ جرام، ويعادل ٦٨٨، ٠ لتراً تقريباً^(٣).

٣- الوسق: ويسمى -أيضاً- الصّحفة، وهو من المكايل التي تقدر بها زكاة الثمار والزرع والحبوب، ويساوي ستين صاعاً؛ أي: ٣٤٥٦، ٢٥٢ لتراً، ويساوي مائتين وأربعين مداً، ويزن ثلاثمائة وعشرين رطلاً، ويعادل -أيضاً- ٤٦٤، ١٣٠ كجم^(٤).

٤- الفرق: من المكايل الشرعية التي أقرها الرسول ﷺ -للمسلمين. ويعادل ثلاثة أصع شرعية، ويعادل اثني عشر مداً شرعياً، ويعادل ستة أقساط، ويبلغ ٢، ٦٥٢٣ جم، ومقدار حجمه ٢٥، ٨ لتراً^(٥).

٥- الأردب: من المكايل القديمة التي عرفت في الحجاز عامة، وظل أهل الطائف يستخدمونه حتى أقره الإسلام، ويتسع لأربعة وعشرين صاعاً، ويقدر بنحو ٤٨٩٦٠ جرام، ويساوي تقريباً ١٩٨ لتراً من الماء، وقد تم تداوله بين الناس في معاملات مالية مختلفة؛ كالمعاملات الشرعية في تقدير أداء الزكاة للحبوب والثمار وغيرها من الحبوب^(٦).

٦- المكوك: من مكايل العراق القديمة التي وجدت بالطائف، وأقره الرسول ﷺ -بعد الهجرة، ويعادل صاعاً ونصف الصاع وستة أمداد، ويزن ٦٢٥، ٤٥٨٦ جراماً^(٧).

٧- القفيز: من أقدم المكايل المستخدمة في أسواق الطائف، وأقره الرسول ﷺ -من المكايل الشرعية للدولة الإسلامية، وقد شاع استخدامه في معظم أسواق الحجاز،

(١) الزبيدي، محمد: إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، ج ٤، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٧ هـ / ٢٠١٥ م) ص ٨٧.

(٢) العليان: الأسواق التجارية في الحجاز واليمن، ص ٣٦٧.

(٣) الخوارزمي، أبو عبد الله: مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط ٢ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٩ م) ص ٢٩. العليان: الأسواق التجارية في الحجاز واليمن، ص ٣٥٥.

(٤) المقرزي، تقي الدين: الأوزان والأكيال الشرعية، تحقيق: سلطان المسمار، ط ١ (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م) ص ٨٠. العليان: الأسواق التجارية في الحجاز واليمن، ص ٣٥٦.

(٥) المقرزي: الأوزان والأكيال، ص ٧٩. العليان: الأسواق التجارية في الحجاز واليمن، ص ٣٥٧.

(٦) المقرزي: الأوزان والأكيال، ص ٨٠. العليان: الأسواق التجارية في الحجاز واليمن، ص ٣٥٧ - ٣٥٨.

(٧) ابن سلام، أبو عبيد: الأموال، تحقيق: محمد عمارة، ط ١ (بيروت: دار الشروق، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م) ص ٦٢٤. العليان: الأسواق التجارية في الحجاز واليمن، ص ٣٥٨.

ويبلغ ثمانية مكاكيك، ويساوي اثني عشر صاعاً شرعياً^(١).

٨- الجريب: تداوله الناس في تعاملاتهم المالية والتجارية المختلفة، وكذلك المعاملات الشرعية، وكانت تكال به الحبوب والثمار، ويعادل ثمانية وأربعين صاعاً، ويسع أربعة أفضرة، ويساوي خمسمائة واثني عشر رطلاً، ويعادل ١٥٦٥٥٢ جراماً^(٢).

٩- القسط: من المكايل التي استخدمها أهل الطائف في كيل السوائل؛ كالدهن، والزيت، والعسل، واللبن وغيرها من السوائل، ويساوي نصف صاع، ويزن ١١٠، ١ كجم^(٣). وهناك مكايل أخرى قلّ استخدامها في الطائف؛ كمكيال الذهب، والكر، والقلة، والمكتل، والقرب الجلدية^(٤).

ب - الموازين:

١- المثقال: وهو وحدة قياس وزن تساوي اثنتين وسبعين حبة من الشعير^(٥)، وتعادل ٢٥، ٤ جراماً تقريباً، ويوزن بها - غالباً - المعادن النفيسة كالذهب والفضة^(٦).

٢- الدرهم: من الوحدات الأساسية المستخدمة في أسواق الطائف في جميع المعاملات التجارية، ويقدر بسبعة مثاقيل^(٧)، ويقدر وزنه بنحو ١٧، ١٣ جراماً^(٨).

٣- الرطل: مقياس يوناني الأصل، عرفه أهل الطائف قبل الإسلام، واستُخدم لمختلف السلع، وقدر بثمانية وعشرين درهماً وأربعة أسباع^(٩)؛ أي: ما يقارب ٤٠٨ جرامات^(١٠).

٤- الأوقية: من أشهر الموازين التي كانت منتشرة في الطائف قبل الإسلام وبعده، وتساوي ٤٠ درهماً^(١١)؛ أي: ما يقارب ١٢٥ جراماً^(١٢).

(١) المقرئبي: الأوزان والأكيال، ص ٨٠.

(٢) جرادي، علي: المقادير الشرعية وضبطها بالمقادير العصرية على مذهب السادة الحنيفية، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٤٠ هـ) ص ١٣.

(٣) العليان: الأسواق التجارية في الحجاز واليمن، ص ٣٦٠.

(٤) العليان: المرجع السابق، ص ٣٦٢.

(٥) الطيار: الفقه الميسر، ج ٢، ص ٣٦.

(٦) العليان: الأسواق التجارية في الحجاز واليمن، ص ٣٦٤.

(٧) المقرئبي: الأوزان والأكيال، ص ٤٧. المناوي، محمد: النقود والمكايل والموازين، تحقيق: رجاء السامرائي، د.ط. (بغداد: دار الرشيد للنشر، ١٩٨١ م) ص ٣٦-٣٧.

(٨) العليان: الأسواق التجارية في الحجاز واليمن، ص ٣٦٥.

(٩) المقرئبي: الأوزان والأكيال، ص ٦٦.

(١٠) العليان: الأسواق التجارية في الحجاز واليمن، ص ٣٦٥.

(١١) المقرئبي: الأوزان والأكيال، ص ٦٤.

(١٢) العليان: الأسواق التجارية في الحجاز واليمن، ص ٣٦٧.

٥- الدانق: من المكاييل التي استخدمت في الطائف بعد الإسلام، وهو يوناني معرب، ووزنه ثمان حبات شعير وخمسة حبة، أو سدس درهم^(١)، ويقدر وزنه بما يقارب ٤٩٥٨٣، ٠ جرام^(٢).

٦- قيراط: من وحدات الوزن التي عُرفت قبل الإسلام، وأقرها الرسول ﷺ - بعد الهجرة، ويزن نصف دانق^(٣)؛ أي: نحو ٢٦٤، ٠ جرام^(٤).

٧- القنطار: يستخدم لوزن مختلف البضائع والسلع التجارية والمعادن كالذهب والفضة والأحجار الكريمة، وهو سبعة آلاف دينار، وألف مثقال من الذهب والفضة، ويعادل ألف ومائتا أوقية^(٥)، ويزن نحو ١٦٠، ١٥٢ جرام^(٦).

٨- المن: يستخدم لوزن المحاصيل الزراعية والسوائل، ويساوي عند العلماء رطلين، ويزن ما يقارب ٤، ٨١٥ جرام^(٧).

ج- المقاييس:

١- الذراع: من وحدات الطول المختلفة التي تعتمد على طول الساعد من المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى، ومن أشهر قياسات الأذرع:

٢- الذراع الشرعية: أداة تقاس بها الأقمشة والجلود، وتبلغ ست شعيرات معتدلات مضمومة بعضها إلى بعض، أو أربعة وعشرين إصبعاً، ويقدر طولها بنحو ٣٧٥، ٤٦ سم^(٨).

٣- الذراع العمرية: ينسب هذا المقياس للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهي ذراع وقبضة وإبهام قائمة، ويبلغ طولها نحو ٨١٥، ٧٢ سم^(٩).

(١) المقرئزي: الأوزان والأكيال، ص ٦٣.

(٢) العليان: الأسواق التجارية في الحجاز واليمن، ص ٣٦٦.

(٣) المقرئزي: الأوزان والأكيال، ص ٦٤.

(٤) العليان: الأسواق التجارية في الحجاز واليمن، ص ٣٦٧.

(٥) الأنباري، أبو بكر: الزاهر في معاني كلمات الناس، ج ١، ط ١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م) ص ٣٢٨.

(٦) العليان: الأسواق التجارية في الحجاز واليمن، ص ٣٦٨.

(٧) العليان: المرجع السابق، ص ٣٦٨.

(٨) هنتس، فالتر: المكاييل والأوزان الشرعية وما يعادلها في النظام المتري، ط ٢ (عمان: الجامعة الأردنية، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م) ص ٨٩. العليان: الأسواق التجارية في الحجاز واليمن، ص ٣٧١.

(٩) الماوردي، أبو الحسن: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد البغدادي، ط ١ (١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م) ص ١٩٥. هنتس: المكاييل والأوزان، ص ٨٨. العليان: الأسواق التجارية في الحجاز واليمن، ص ٣٧١.

سادساً : أثر الحياة الاقتصادية على الحياة العامة بالطائف :

شكلت الطائف ثقلًا اقتصاديًا بالحجاز، وتفردت بتنوع مصادر الدخل من الزراعة وتربية الماشية والصناعة والتجارة، وكان لانتعاش الحالة الاقتصادية بها أثرٌ في جوانب الحياة العامة؛ وبيان ذلك فيما يأتي:

١- الجانب الديني:

اختلفت صور الحياة الدينية في الطائف منذ العصر الجاهلي حتى ظهور الإسلام، وانتشر بها مجموعة من الديانات والعقائد والعبادات التي أثمرتها الحياة الاقتصادية ورحلات التجار المختلفة^(١) حتى إن أصنامها كانت الأشهر والأكثر ثراءً من بين الأصنام التي عبدها العرب؛ فكانت العرب تحج للات وتعظمه وتتبرك به، وتقدم له النذور والهدايا والأموال^(٢)، وكان للتجارة الخارجية أثرٌ في شهرة اللات، فيذكر أن أهل العراق والشام كانوا يعظمونها ويحجون إليها^(٣).

وكانت الطائف تمتلئ بالقادمين لقضاء الصيف بها سواء من أهل مكة أو نجد، فقد كان بنو عامر بن صعصعة يقدمون من ديارهم في غرب نجد لقضاء الصيف بالطائف، كما صارت الطائف مصيفاً لأهل مكة، ومورداً لهم يمدهم بالفاكهة والثمرات؛ فاستغل أهل الطائف مواردهم وموقعهم، وشجعوا من كان يسكن حولهم على الحج لمعبدهم أيام السنة وموسم الحج^(٤).

وبعكاز لما كانت سوق العرب كافة صنم يدعى جهازاً كانت العرب تحج إليه وتلبي، وكانت تطوف حوله، وتقدم النذور والأموال^(٥)، ولم يكن لجهاز واللات هذه الشهرة الواسعة لولا علو شأن الطائف وأسواقها وشهرتها الاقتصادية.

ووجدت اليهودية بالطائف فقد اعتنق مجموعة ضئيلة من أهلها الديانة اليهودية^(٦)، وقد نقلها قوم من اليهود طردوا من يثرب فاتجهوا للطائف بغرض التجارة، يقول البلاذري: "فصالحهم الرسول ﷺ - على أن يسلموا ويقرهم على ما في أيديهم من أموالهم وركازهم، واشترط عليهم ألا يرابوا ولا يشربوا الخمر، وكانوا أصحاب ربا،

(١) القصير: أحلى للطائف، ص ١٠٢.

(٢) الكلبي، ابن السائب: الأصنام، تحقيق: أحمد زكي باشا، ط ٤ (القاهرة: دار الكتب المصرية، ٢٠٠٠ م) ص ١٦.
(٣) مرعي، عيد: معجم الآلهة والكائنات الأسطورية في الشرق الأدنى القديم، د.ط (دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٨ م) ص ٣٧٩.

(٤) القصير: أحلى للطائف، ص ١٠٧.

(٥) حمور، عرفان: مواسم العرب: المواسم الثقافية والتجارية والدينية والطبيعية، ج ١، ط ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦ م) ص ١٠٨.

(٦) الملاح: الوسيط في تاريخ العرب، ص ٣٢١.

وكان بخلاف الطائف قوم من اليهود طردوا من اليمن ويثرب فأقاموا بها التجارة، فوضعت عليهم الجزية، ومن بعضهم اتباع معاوية أمواله بالطائف^(١).

ووجدت النصرانية مكاناً لها في الطائف، فقد ذكر أنه كان هناك في الطائف رقيق نصراني، وعدد من الموالي، كان يقرأ ويكتب ويفسر للناس ما جاء في الإنجيل، ويقص عليهم قصصاً نصرانية، ويتحدث إليهم عن النصرانية، ومنهم من تمكن من إقناع أهل الطائف بالدخول في النصرانية، واتخذ النصرانيون بيوتاً للخلوة والعبادة أسموها بالأديرة^(٢).

وذكر أهل الأخبار أنهم وجدوا في الطائف قليلاً من المسيحيين عند ظهور الإسلام، ويرجع ذلك إلى أن جماعات من تجار الطائف كانوا يذهبون في رحلاتهم التجارية إلى إمارة الحيرة للبيع والشراء فكانوا يتعرفون على التغيرات والتطورات الثقافية والدينية وينقلونها إلى أبناء بطونهم وعشائريهم؛ فضلاً عن قدوم المبشرين من الحيرة إلى بلاد الحجاز في ركاب القوافل التجارية^(٣).

ولما بُعث الرسول -ﷺ- واتجه نحو الطائف لم يكن ذلك عبثياً؛ فقد توجه لها -ﷺ- كونها تمثل الثقل الاقتصادي للحجاز عامة، ومكة المكرمة على وجه الخصوص، وكان لقريش أطماع في الطائف حتى إنها حاولت في الماضي أن تضم الطائف إليها، ووثبت على وادي وج وذلك لما فيه من الشجر والزرع حتى خافتهم ثقيف وحالفتهم^(٤)، وقد كان كثير من أغنياء مكة يمتلكون أملاكاً كثيرة في الطائف، ويقضون فيها فصل الصيف، وكانت قبيلة بني هاشم^(٥) وعبد شمس^(٦) على اتصال مستمر مع الطائف، كما كانت تربط بني مخزوم^(٧) مصالح مالية مشتركة بثقيف، فإذا اتجه الرسول -ﷺ- إلى الطائف فذلك توجه من شأنه أن ينهي هذا الارتباط الاقتصادي، وإذا استطاع أن يجد له فيها موضع قدم وعصبة تناصره فإن ذلك سيفزع قريشاً، ويهدد أمنها ومصالحها الاقتصادية تهديداً مباشراً؛ بل قد يؤدي لتطويقها وعزلها عن الخارج، وهذا التحرك الدعوي السياسي الاقتصادي الذي يقوم به الرسول -ﷺ- بالطائف يستهدف مباشرة مركز السلطة وموضع القرار الاقتصادي في الحجاز.

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٧٥.

(٢) عرفة، محمود: العرب قبل الإسلام أحوالهم السياسية وأهم مظاهر حضارتهم، د.ط (القاهرة: دار الثقافة العربية، د.ت) ص ٢٦٢-٢٦٣.

(٣) الكناني: الطائف قبل الإسلام، ص ٢٢٩.

(٤) البغدادي: المنمق، ص ٢٣٥.

(٥) بنو هاشم أو الهاشميون: قبيلة عربية عدنانية إحدى فروع قبيلة قريش، ولهم بطون وأفخاذ كثيرة، وهم من المقصود بهم آل البيت والذي ينتسب إليهم رسول الله ﷺ. القلقشندي: نهاية الأرب، ص ٤٣٥.

(٦) بنو عبد شمس: بطن من عبد مناف بن قصي، من قريش العدنانية. القلقشندي: نهاية الأرب، ص ٢٢٧.

(٧) بنو مخزوم: بطن من لؤي بن غالب من قريش. القلقشندي: نهاية الأرب، ص ٤١٦.

ظل رسول الله - ﷺ - يدعو الناس في البيوت والساحات حتى قصد سوق عكاظ؛ كونه الوجهة التجارية والأدبية الرئيسية للقبائل كافة، " فانطلق رسول الله - ﷺ - في طائفة من أصحابه عامدين سوق عكاظ " (١)، وهناك التقى بأهل يثرب الذين صدقوه دون غيرهم في عكاظ، يقول جابر بن عبد الله: " إن رسول الله - ﷺ - لبث عشر سنين يتبع الحاج في منازلهم في الموسم وبمجنة وبمعاظ، وبمنازلهم بمنى " (٢).

وترى الباحثة أنه لم يكن لأحد أن يقصد الطائف دون غيرها من المدن الحجازية ناشرا لليهودية، ومبشرا بالمسيحية، ومبلغا بالإسلام لولا ذلك التأثير الاقتصادي الذي كانت تعيشه مدينة الطائف وتنفرد به.

٢- الجانب السياسي والعسكري :

لما انتزعت ثقيف السيادة السياسية في الطائف استطاعت الوقوف بثبات أمام المتغيرات السياسية التي مرت بها في الجاهلية والإسلام (٣)، والتزمت ثقيف بالحياد تجاه النزاعات القبلية فيما حولها لحنكة قاداتها السياسية وحسن تصرفهم؛ مما أدى إلى الحفاظ على مكتسبات الطائف الزراعية ومقوماتها التاريخية دون إلحاق الضرر بها من خلال تلك الحروب (٤).

ويعد الاقتصاد مفتاح السيادة السياسية، وأساس كل نظام سياسي ناجح، ولم يكن لثقيف أن تصبح منافسة لأهم القوى والقبائل في الحجاز لولا مكانتها الاقتصادية التي سخرتها لهم طبيعة مدينة الطائف وخيراتها الوفيرة (٥).

أصبحت ثقيف قبيلة حضرية بدأت سيادتها عن طريق فلاحه الأرض واستثمارها، فأصبحت الزراعة الحرفة الأولى التي تشغل بها، ولم تجد عناء في احترافها الزراعة؛ فالأرض خصبة، والمياه وفيرة، والمناخ معتدل؛ وبانتعاش الحياة الاقتصادية أصبحت الطائف مدينة مستقلة ذات تنظيمات خاصة، ولها اتصالات خارجية، وجيش دفاعي (٦).

وبعد أن تمكنت ثقيف من الطائف أخذت في تكوين قوتها السياسية، ومجارة القوى الحجازية، وسلكت بذلك مسلكاً آخر في الزعامة حتى خلقت لها تأثيراً كبيراً في

(١) السيوطي، جلال الدين: التوشيح شرح الجامع الصحيح، تحقيق: رضوان جامع رضوان، ج ٧، ط ١ (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م) ص ٣١٠٣.

(٢) البيهقي، أبو بكر: دلائل النبوة، ج ٢، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ هـ) ص ٤٤٢.

(٣) القصير: أحلى اللطائف، ٧٧.

(٤) زيود، محمد: مختارات في التاريخ والحضارة العربية الإسلامية، ط ١ (دمشق: دار طلاس، ١٤٣٠ هـ /

٢٠٠٩ م) ص ٢٩١.

(٥) صقر: الطائف في العصر الجاهلي و صدر الإسلام، ص ٢٦.

(٦) القيسي: ثقيف ودورها في التاريخ العربي والإسلامي، ص ٢٥.

السوق التجارية في شبه الجزيرة العربية^(١).

وبذلك تكون ثقيف قد كوّنت ثقلاً سياسياً بالحجاز؛ مما جعلها مطمعاً لقبائل الأخرى، وهنا تتجلى مهاراتهم السياسية والعسكرية في بناء الأسوار والأبراج والحصون^(٢)، ليس هذا فحسب بل حالفت القبائل المجاورة، كقبيلة قريش وقبائل قيس عيلان كافة لحماية تلك الأرض الثمينة، ونظراً لارتباط تلك القبائل باستثمارات و عقود اقتصادية بالطائف حرصت على استمرار العلاقات السياسية مع ثقيف^(٣).

ولما كانت أرض الطائف ذات خصوصية اقتصادية وحضارية تختلف عن مجتمع الحجاز فقد سَنَّ الرسول ﷺ والخلفاء الراشدون -رضي الله عنهم- من بعده سنة حميدة؛ فولّوا على الطائف من أبنائها، ولا شك أنها سياسة حكيمة؛ فالثقفيون بصفة عامة ذوو حضارة راقية، فهم مجتمع زراعي ثري، وخير من يحكم مدينتهم هم أبنائها ذوو الخبرة والفتنة، فولّى الرسول ﷺ -عثمان بن العاص الثقفي^(٤)، وظل والياً على الطائف حتى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم ولى عليها سفيان الثقفي^(٥)؛ وفي خلافة عثمان بن عفان ولى عليها القاسم بن ربيعة الثقفي^(٦)، ولم تتغير هذه السياسة إلا في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فولّى عليها قثم بن العباس القرشي^(٧).

(١) القيسي: المرجع السابق، ص ٢٤.

(٢) البكري: معجم ما استعجم، ص ٨٨٦.

(٣) علي: المفصل في تاريخ العرب، ج ٤، ص ٢٨.

(٤) وفد على النبي ﷺ - في وفد ثقيف وهو أصغرهم فأسلم، واستعمله رسول الله ﷺ - على الطائف فلم يزل عليها في حياة رسول الله، وخلافة أبي بكر رضي الله عنه، وستين من خلافة عمر رضي الله عنه، ثم ولاه عمر سنة ١٥ هـ / ٦٢٧ م على عمان والبحرين وسار إلى عمان، واستمر في البحرين إلى أن ألت الخلافة لعثمان بن عفان فعزله، فسكن البصرة حتى مات بها في خلافة معاوية، له فتوح وغزوات بالهند وفارس، وفي البصرة موضع يقال له: "شط عثمان" منسوب إليه، وهو الذي منع ثقيفاً عن الردة. وخطبهم فقال: يا معشر ثقيف، كنتم آخر الناس إسلاماً فلا تكونوا أولهم ارتداداً. كان ذا مال، كثير الصدقة والصلة، يختار العزلة والخلو، توفي سنة ٥١ هـ / ٦٧١ م. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ١٢١.

(٥) هو سفيان بن عبد الله بن أبي ربيعة بن الحارث بن مالك الثقفي من أهل الطائف، كان في الوفد -أيضاً- الذين قدموا على النبي ﷺ - من الطائف وأسلم، استعمله عمر بن الخطاب على صدقات الطائف، ثم تولى إمارة الطائف مدة قصيرة. ابن الأثير، عز الدين: الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ج ٢، ط ١ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) ص ٤٤٩.

(٦) ابن حبان، محمد: الثقات، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، ج ٢، ط ١ (حيدر أباد: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٣ م) ص ٢٦٦.

(٧) قثم بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم النبي ﷺ، كان أشبه الناس برسول الله، تولى نيابة المدينة في أيام علي، ثم ولاه على مكة والطائف وما زال عليها حتى قتل علي رضي الله عنه، شهد فتح سمرقند فاستشهد ودفن بها، توفي سنة ٥٧ هـ / ٦٧٧ م.

٣ - الجانب العلمي والأدبي

تحتضن الطائفة العديد من الشواهد التي دلت على عمقها الثقافى والعلمى، ويزخر تاريخ الطائفة الأثرى بالكتابات والنقوش التي وجدت على الحجارة والصخور والأخشاب والمعادن المختلفة، ولم تخل الكهوف والجبال وكذلك الأودية من الكتابات والنقوش الجاهلية والإسلامية؛ وكان ذلك نتيجة لتوافر أدوات النقش؛ كالمثاقيب الحجرية، والأقلام الحديدية، والمسامير.

وشاعت الكتابة على الألواح الحجرية بالطائفة، كما استخدموا العظام والقماش والقراطيس وعسب النخل للكتابة، وكانت الجلود أبرز المواد المستخدمة للكتابة والأكثر انتشارا لكون الطائفة أحد أهم مراكز تصنيع الجلود ودباغتها في بلاد العرب^(١). كما توافرت لديهم أدوات الكتابة المختلفة؛ كالقلم الذي يصنع من السعف وقلم العاج، وقلم القصب. ومن مواد الكتابة المتوفرة لديهم الحبر أو المداد الذي يصنع من الدخان والرماد والصمغ، ويحفظ الحبر بقوارير مصنوعة من الفخار يطلق عليها اسم الدواة^(٢).

تطورت الحياة العلمية بالطائفة مع استقرار الحالة الاقتصادية؛ فانتقلت من النقوش البدائية على الصخور إلى مرحلة أكثر تنظيماً؛ حيث انتشرت الكتابات في أنحاء الطائفة نتيجة لكثرة المعلمين من أبناء ثقيف، وقد أخذت ثقيف القراءة والكتابة من تجار الحيرة القادمين إلى الطائفة.

عُرفت ثقيف بفصاحة لسانها، وبمقدرتها على الكتابة، وامتازت بحسن الخط والإملاء الصحيح، مما دعا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أن يجعل كتاب المصحف الشريف من ثقيف وقريش، قال: "لا يلين مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف"^(٣)، والشهرة ذاتها دعت عثمان بن عفان -رضي الله عنه- عند جمع القرآن أن يجعل المملي من هذيل، والكاتب من ثقيف^(٤).

(١) جبل، محمد: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ج ٤، ط ١ (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠ م) ص ١٨٦٧.

(٢) النحاس، أبو جعفر: عمدة الكتاب، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، ط ١ (لیماسول: الجفان والجابي للطباعة والنشر، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م) ص ١٢٨. علي: المفصل في تاريخ العرب، ج ٨، ص ٢٥٣-٢٥٦.

(٣) ابن سلام، أبو عبيد: فضائل القرآن، تحقيق: مروان العطية وآخرون، ط ١ (بيروت: دار ابن كثير، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م) ص ٣٤٠.

(٤) الهندي، علاء الدين: كنز العمال في سنن الأفعال والأفعال، تحقيق: بكرى حياني وآخرون، ج ٢، ط ٥ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) ص ٥٨٧.

وكان غيلان بن سلمة الثقفي ممن تعلم الكتابة من زعماء قريش لما أتوا للطائف في تجارة لهم^(١)، وكان يعلم الصبيان الخط والهجاء^(٢)، وكذلك يوسف بن الحكم الثقفي الذي كان يعلم الصبيان الفصاحة، والكتابة، والقرآن، وعلوم الحديث^(٣). وجبير بن حية الثقفي كان يعلم الصبيان في الطائف، ثم قدم إلى العراق فاستقر كاتباً في الديوان^(٤).

ولم تقتصر العلوم والفنون الأدبية على رجالات ثقيف؛ بل كانت نساء ثقيف ممن نظم الشعر ونشدنه؛ كالفارعة بنت أبي الصلت^(٥)، وميمونة بنت كردم التي يذكر أنها كانت ممن روين الحديث عن الرسول ﷺ^(٦). وكان للقوافل التجارية أثر كبير في نقل العلوم من أطراف الهند وبلاد فارس إلى الطائف فتلقوا إليها علوم الطب والفلسفة واللغات الأعجمية؛ كالحارث بن كلدة الثقفي وابنه النضر، وهما من علماء الطب درسوا في مدينة جنديسابور، وأخذوا أصول الطب من المؤلفات اليونانية والسريانية، وكان النضر مطلعاً على علوم الفلسفة والحكمة، وفتون العزف والغناء^(٧).

ولسوق عكاظ الأثر الفعال في ازدهار الحركة العلمية والأدبية، وكان أحد أهم العوامل لتوحيد لغة العرب وتهذيب لهجاتهم لاختلاط القبائل ببعضها، وكانت لهجات العرب متفاوتة في النطق والمفردات والقواعد تبعاً لاختلاف عوامل الزمان والمكان؛ إلا أن عكاظ أسهم وبشكل عميق في تطور علم اللغة العربية وتوحيدها؛ ليس هذا فحسب بل كانت سوق عكاظ جامعة أدبية تحتضن الشعراء والخطباء والحكماء والفلاسفة^(٨).

يقول المرزوقي: "عكاظ واد للعرب فيه سوق لهم يجتمع فيها طوائف الناس من جميع الأحياء فيتعارفون فيها ويتعلقون بالأخبار بعد التذاكر بها والتسم لها، وبينهم المواعيد والمقايضات، والإحن والترات، والمنافرات والمناقضات؛ فكل فرقة تتجمل للأخرى وتود أن تسمع فيها ما ليس عندها من حسن وقبيح، ومحمود ومذموم؛ إلى غير ذلك من الأنباء السائرة والأوابد العائرة التي يتهادى بها، ويستطرف وقوعها، ويتبلغ

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٦٦٠.

(٢) العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٥، ص ٢٥٢.

(٣) جاسم، جاسم علي: الأئسية التطبيقية من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي نشأتها وتطورها وموضوعاتها، د.ط (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٤١ هـ / ٢٠٢٠ م) ص ٩٠.

(٤) العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ٥٧٠.

(٥) قدمت على النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- بعد فتح الطائف، وكانت ذات لبّ وعفاف وجمال، توفيت -رضي الله عنها- في زمن الرسول. العسقلاني: المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٥٩.

(٦) العسقلاني: المصدر السابق، ج ٨، ص ٣٢٩.

(٧) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٣٩٤-٣٩٨.

(٨) السندي، صالح: سوق عكاظ، مجلة رسالة المعاهد العلمية السعودية، ع ١١ (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - معهد الرياض العلمي، ١٩٩٢ م) ص ٣٤-٣٥.

باستماعها وأدائها"^(١)، وبذلك كانت الطائف وأسواقها جامعة مفتوحة لشتى صنوف العلوم والفنون، يرتادها أبناء شبه الجزيرة العربية بمختلف السلع التجارية والأدبية.

٤- الجانب الاجتماعي :

تميزت الطائف باعتدال مناخها، وخصوبة أرضها، ووفرة محاصيلها، وكثرة مياهها؛ واعتمد أهلها - بشكل أساسي - على الزراعة وتربية الماشية؛ مما ساعدهم على تطوير حياتهم الاجتماعية، فمال كثير منهم إلى الاستقرار والاشتغال بالحرف الزراعية والعيش منها. كما عمل أهل الطائف بالتجارة، واشتغلوا بنقل فائض منتجاتهم إلى البلدان المجاورة، يؤكد ذلك الحميري بقوله: "وزيبيها معروف يتجهز به إلى جميع الجهات، وأكثر فواكه مكة من الطائف، وبها تجار مياسير"^(٢). وفاضت منتجاتهم من الحنطة والزبيب والعسل فتاجروا بها؛ ولغزارة إنتاجهم من العنب فقد كانوا يصنعون الخمر حتى نهاهم الرسول - ﷺ - عنه^(٣).

ونتيجة لهذا الرخاء الاقتصادي ظهرت بها طبقة مرفهة ترتدي الأقبية المصبوغة بالورس والعصفر، ويحزمون أوساطهم بملاءات القطن الرقاق وعليها برود عجيبية^(٤)، وكانت النساء ترتدي الحلي الثمينة، ذكر في المغازي أن خولة بنت حكيم السلمية قالت: يا رسول الله، أعطني إن فتح الله عليك الطائف حلي بادية بنت غيلان بن سلمة، أو حلي الفارعة بنت عقيل^(٥).

ومن الآثار الاقتصادية على الجانب الاجتماعي تعدد أنواع التعاملات التجارية، وظهور أنظمة مالية جاء بها الإسلام ليحقق العدالة الاقتصادية والاجتماعية، فسارع الأغنياء لإخراج زكاتهم للفقراء، فكان لجمع الزكاة من الأغنياء وردها على الفقراء أثر اجتماعي واقتصادي كبير متمثل في إصلاح أحوال الفقراء المالية، ونشر ثقافة التكافل الاجتماعي بين أفراد مجتمع الطائف. ولما كانت أرض الطائف ثرية نتيجة لانتعاش الحياة الاقتصادية فقد عين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سفيان الثقفي لجمع الصدقات بالطائف^(٦). وللرخاء الاقتصادي الذي شهدته الطائف أثر في تنوع عناصر المجتمع، فوجدت بها عناصر عربية وغير عربية، كما وجد بها عدد غير قليل من الموالي والرقيق.

(١) الرزوقي، أبو علي: شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) ص ١٠٥٨.

(٢) الحميري: الروض المعطار، ص ٣٧٩.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٧٥.

(٤) الحميري: الروض المعطار، ص ٣٨٠.

(٥) ابن هشام: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٢٣.

(٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٤٩.

٥- الجانب العمراني :

من الطبيعي أن يرتبط العمران بالجانب الاقتصادي فلا عمران بلا اقتصاد، وقد أسهمت الزراعة والصناعة والتجارة في تحقيق الازدهار المادي، ونهضة الجانب العمراني في الطائف؛ حيث شيد أهلها أنواعاً متعددة من المباني السكنية والدينية والعسكرية والزراعية والمائية. وتكثر المنازل بالطائف حول المناطق الزراعية، أو بعض المناطق الرعوية بجانب الماء والكلاً، أو أنها توجد بجانب الأسواق التجارية، وهكذا كانت مواقع المنازل بالطائف متأثرة بأسلوب المعيشة والحياة الاقتصادية. وزخرت الطائف بالكثير من المنشآت الحربية والعسكرية كالأسوار والحصون؛ نظراً لكونها مدينة غنية بالثروات الطبيعية، ومهددة بالنهب والسلب من القبائل المحيطة بها، ومن أبرزها سور الطائف والحصون المنتشرة في الجبال ورؤوس الهضاب، التي تستخدم للأغراض العسكرية من قبل رجال قبيلة ثقيف.

كان لوفرة مواد البناء الأساسية في الطائف الأحجار والأخشاب، ومهارة أهلها العالية في البناء والعمار، أبلغ الأثر في ازدهار العمران واختلاف أشكاله^(١)، فقد أظهر سكان الطائف براعة في فنون العمارة؛ حيث بنوا السدود والقنوات لتصريف المياه، وحفروا الآبار، كما استطاعوا بناء القلاع والحصون والأبراج لحماية المدينة من العابثين، وقد أتقنوا صناعة اللبن، وتكسير الصخور، وتهذيب الحجارة التي كانت أساس البناء في المدينة، وكذلك اللبن المادة الطينية التي تخلط بالتبن وتعجن وتشكل على شكل قوالب مستطيلة أو مربعة، كما كانوا يستخدمون الطين والحجر الذي لم يُهدب في بناء الحضائر والمنازل العادية كما في القرى^(٢). واهتم سكان الطائف بتشييد السدود وتقويتها؛ نظراً لهطول الأمطار الغريزة على المدينة في فترات متفاوتة من العام، وللحاجة الماسة لاحتجاز مياه هذه الأمطار خلف السدود، أو الاحتفاظ بها في الآبار من أجل الزراعة والسقاية.

وللنشاط الاقتصادي المزدهر بالطائف، وزيادة ثرواتهم وممتلكاتهم ونفوذهم الأثر في قيام نزاعات وأطماع خارجية تجاهها؛ مما دعا ثقيفاً لإقامة الأسوار والحصون والأطام للاحتماء بها إذا دعت الحاجة^(٣). ومما سبق يتضح لدينا الأثر الكبير الذي تركته الحياة الاقتصادية على جوانب الحياة العامة في الطائف، وتمثل ذلك فيما شيده من القصور والحصون والسدود، وما بنوه من الأسواق، وما سطره على

(١) ابن جريس: دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ج ١، ص ٢١٧-٢١٨.

(٢) السيد: ملامح من التراث العمراني في محافظة الطائف، ص ٢٦.

(٣) صالح، ياسر: الأطام والحصون بجنوب الطائف: دراسة أثرية معمارية، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، ع ١٧ (القاهرة: الاتحاد العام للآثاريين العرب، ٢٠١٦ م) ص ٤٨٢-٤٨٥.

واجهات المباني من نقوش ورسوم تظهر لنا مدى تقدمهم الثقافى والفنى والحضارى بصفة عامة.

سابعاً : الخاتمة :

اشتملت الدراسة على العديد من النتائج ، ومنها ما يلي :

(١) تهيأت كافة الظروف الطبيعية الملائمة نسبياً بالطائف مقارنة مع بقية نواحي الحجاز؛ حيث توفرت الظروف المناخية المناسبة والموارد المائية المختلفة والتربة الخصبة. (٢) وضحت الدراسة امتلاك الطائف طاقة بشرية كبيرة، والتي كان لها الدور البارز في ازدهار مختلف المهن والحرف الزراعية والرعية والصناعية. (٣) شكل إسلام قبيلة ثقيف نقلة نوعية للحياة الاقتصادية بالطائف. (٤) انخرطت كافة الطبقات الاجتماعية بالحرف والمهن المختلفة، بعكس القبائل العربية الأخرى والتي كانت تحتقر كافة المهن عدا الرعي والتجارة. (٥) كان بالطائف عرقيات مختلفة أبرزها العرقية اليهودية والتي مارست المهن المختلفة وأدخلت الربا في المعاملات التجارية. (٦) مثلت الزراعة في الطائف العمود الفقري للاقتصاد الطائفي، ومصدراً أساسياً للدخل القومي للمدينة، ولذلك فقد أولى رجال قبيلة ثقيف اهتمامهم الكبير بها؛ حيث طبقوا مجموعة من القوانين والإجراءات المختلفة في المجال الزراعي، والتي كان لها الأثر الإيجابي في زيادة الجهد والاهتمام بالزراعة والحصول على أفضل المنتجات الزراعية. (٧) يعد النشاط الزراعي من أهم الركائز الاقتصادية بالطائف، وبه انخرط معظم العاملين بالمدينة. (٨) تعد الطائف بستان الحجاز، فمنها يستوردون الحبوب، وجل فاكهتهم منها؛ حيث انفردت بزراعة بعض المحاصيل الزراعية والأشجار والنباتات، والتي تميزت بمردودها الاقتصادي المرتفع ونالت شهرة واسعة بإنتاجها لها، كالعنب والزبيب والحنطة اللقمية. (٩) أدى التنوع في المناخ والتضاريس الأرضية وخصوبة الأرض إلى انتشار الزراعة وتنوع المحاصيل الزراعية في المدينة. (١٠) شكلت الموارد المالية الزراعية الدعامة الرئيسية للطائف، والتي ارتكز عليها التقدم الحضاري للمدينة. (١١) للعسل الطائفي سوق رائجة، وهو مما يتهدى به الناس لحسن جودته وغلاء ثمنه. (١٢) يمثل الرعي أحد أهم الموارد الاقتصادية في الطائف، حيث وفرت لسكان الغذاء والكسوة والوقود.

(١٣) تنوعت الصناعات والحرف في الطائف، فشملت كل متطلبات الحياة اليومية، حيث تعددت أشكالها، وأصنافها، وموادها الخام حسب استخداماتها وأغراضها. (١٤) لعبت صناعة الجلود دوراً هاماً في حياة سكان الطائف قبل وبعد الإسلام، فكانت أحد أهم الصناعات والمكاسب المادية. (١٥) كان للمصنوعات

الجلدية سوق رائجة في نواحي شبه الجزيرة العربية، حتى بلغت شهرة النعل الطائفي أطراف العراق والشام. (١٦) تعد الطائف إحدى محطات طرق القوافل الرئيسية القادمة من الجنوب والشمال. (١٧) اشتهرت الطائف بوجود تجار ميا سير، ساهمت علاقاتهم التجارية في انتعاش أسواق الطائف وتسويق البضائع الطائفية خارج أسوار المدينة. (١٨) لم تقتصر تجارة الطائف على داخل المدينة فقط، بل كان لها تجارة خارجية وصلت للآفاق عن طريق القوافل التي تمر بها للشمال والجنوب. (١٩) بالطائف أسواق دائمة وموسمية، وكان سوق عكاظ أشهر أسواق العرب على الإطلاق. (٢٠) يعد عكاظ سوقا لكافة السلع الأدبية والتجارية. (٢١) تنوعت السلع بأسواق الطائف ما بين سلع محلية و سلع مستوردة. (٢٢) تنوعت المعاملات التجارية بالطائف والتي كانت تعتمد على الربا، وكان للإسلام أثر بالغ في تنظيمها وتقنينها. (٢٣) شكلت الطائف ثقلا اقتصاديا بالحجاز، وتفردت بتنوع مصادر الدخل من الزراعة وتربية الماشية والصناعة والتجارة، وكان لانتعاش الحالة الاقتصادية بها أثرا في جوانب الحياة العامة.

وعلى ضوء هذه الدراسة يمكن أن نوصي بدراسة الأوجه الحضارية في الطائف دراسة وافية، بحيث تساعد في رسم صورة واضحة عن الجوانب الحضارية، وربط الماضي الحضاري للطائف بالمعاصر الذي يشمخ بتطوره الهائل، وحث الأجيال على الاطلاع والأخذ بالعبر والنواحي القيمة من ذلك التراث الذي وضع الأسس النظرية والتطبيقية في مجالات الحياة المختلفة.

ثامناً : المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية :

- ١- ابن الأثير، عز الدين: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط١ (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م).
- ٢- الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، ج ١١، ط ١ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).
- ٣- ابن الأخوة، محمد: معالم القرية في طلب الحسبة، د.ط (كمبردج: دار الفنون، د.ت).
- ٤- الإدريسي، أبو الفضل: واضح البرهان على تحريم الخمر والحشيش في القرآن، تحقيق: علي الطهطاوي، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م).
- ٥- الإدريسي، محمد: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج ٢، د.ط (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م).
- ٦- الأزرق، أبو الوليد محمد: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: عبد الملك الدهيش، ط ١ (مكة: مكتبة الأسد، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).
- ٧- الإشبيلي، أبو الخير: كتاب عمدة الطبيب في معرفة النبات لكل لبيب، تحقيق: خ. بوستامانتي، ج ٢، د.ط (مريد: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، ٢٠٠٤م).
- ٨- الإشبيلي، ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، تحقيق: أنور أبو سويلم وآخرون، ج ٢، ط ١ (عمان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م).
- ٩- الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم: المسالك والممالك، د.ط (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٧٠م).
- ١٠- الأصمعي، أبو سعيد: كتاب النبات والشجر، جمع وتحقيق: أوغست هفتر، د.ط (بيروت: المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين، ١٨٩٨م).
- ١١- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: عامر النجار، ط ١ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٦م).
- ١٢- الأنباري، أبو بكر: الزاهر في معاني كلمات الناس، ج ٢، ط ١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).
- ١٣- أنس، مالك: المدونة، ج ٤، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).
- ١٤- البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، ط ١ (دمشق: دار ابن كثير، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).
- ١٥- ابن بطوطة، محمد: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: محمد العريان، ج ٢، ط ١ (بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

- ١٥- البصري، الحسن: فضائل مكة والسكن فيها، د.ط (الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م).
- ١٦- البغدادي، أبو جعفر: المنمق في أخبار قريش، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، ط ١ (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م).
- ١٧- البغدادي، صفي الدين: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، ج ٢، ط ١ (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م).
- ١٨- البغدادي، عبد القادر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج ١٣، ط ٤ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م).
- ١٩- البغوي، الحسين بن مسعود: معالم التنزيل، تحقيق: محمد النمر وآخرون، ج ٨، ط ١ (الرياض: دار طيبة، ١٤٠٩ هـ).
- ٢٠- البكري، أبو عبيد الله: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع، ج ٤، د.ط (بيروت: عالم الكتب، د.ت).
- ٢١- البلاذري، أحمد: فتوح البلدان، تحقيق: عمر الطباع، د.ط (بيروت: مؤسسة المعارف، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م).
- ٢٢- البندنجي، أبو بشر: التقضية في اللغة، تحقيق: خليل العطية، د.ط (العراق: وزارة الأوقاف، ١٩٧٦ م).
- ٢٣- البيهقي، أبو بكر: دلائل النبوة، ج ٧، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ هـ).
- ٢٤- الجاحظ، أبو عثمان: التبصرة بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب التونسي، ط ٣ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م).
- ٢٥- ابن جبير، محمد: تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، د.ط (بيروت: دار صادر، د.ت).
- ٢٦- ابن جلجل، سليمان: طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، ط ٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م).
- ٢٧- الجوهرى، أبو نصر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج ٦، ط ٤ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م).
- ٢٨- ابن الجوزي، جمال الدين: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ج ١٩، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م).
- ٢٩- ابن حبان، محمد: الثقات، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، ج ٩، ط ١ (حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م).
- ٣٠- ابن حبيب، محمد: المحبر، تحقيق: إيلزة ليختن شتير، د.ط (بيروت: دار الآفاق الجديدة، د.ت).

- ٢١- ابن حزم، علي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبدالسلام هارون، طه (القاهرة: دار المعارف، د.ت) .
- ٢٢- الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، د.ط (بيروت: دار صادر، ١٢٩٧ هـ / ١٩٧٧ م) .
- ٢٣- الحميري، محمد: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط ٢ (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤ م) .
- ٢٤- الحميري، نشوان: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين العمري وآخرين، ج ١١، ط ١ (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م) .
- ٢٥- ابن حنبل، أحمد: مسند الإمام أحمد ابن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ج ٥٠، ط ١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م) .
- ٢٦- الحنبلي، أبو مفلح: المبدع شرح المقنع، تحقيق: محمد حسن الشافعي، ج ٨، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م) .
- ٢٧- ابن حوقل، أبو القاسم: صورة الأرض، د.ط (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م) .
- ٢٨- ابن خردزابه، عبید الله: المسالك والممالك، د.ط (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٨٩ م) .
- ٢٩- الخزاعي، علي: تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول ﷺ - من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق: إحسان عباس، ط ١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) .
- ٤٠- خسرو، ناصر: سفرنامه، ترجمة: يحيى الخشاب، ط ٢ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣ م) .
- ٤١- الخوارزمي، أبو عبد الله: مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط ٢ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٩ م) .
- ٤٢- أبو داود، سليمان: سنن أبي داود، تحقيق: محمد الخالدي، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م) .
- ٤٣- ابن دريد، أبو بكر: جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ج ٣، ط ١ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧ م) .
- ٤٤- الدماميني، بدر الدين: مصابيح الجامع، تحقيق: نور الدين طالب، ج ١٠، ط ١ (سوريا: دار النوادر، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٩ م) .
- ٤٥- الدمياطي، محمود: معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي، د.ط (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م) .
- ٤٦- الدينوري، ابن قتيبة: الجرائيم، تحقيق: محمد الحميدي، ج ٢، د.ط (دمشق: وزارة الثقافة، د.ت) .
- ٤٧- الدينوري، أبو حنيفة: كتاب النبات، تحقيق: برنهارد لفين، ج ٦، د.ط (فيسبادن: فرانز شتاينر فيسبادن، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م) .

- ٤٨- الذهبي، شمس الدين: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ج ٥٢، ط ٢ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م).
- ٤٩- الرازي، أبو بكر: مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط ٥ (بيروت: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م).
- ٥٠- الرجرجاني، علي: مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل في شرح المدونة وحل مشكلاتها، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي وآخرون، ج ١٠، ط ١ (الرياض: دار ابن حزم، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م).
- ٥١- الرزوقي، أبو علي: شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م).
- ٥٢- ابن رسته، أحمد: الأعلاق النفيسة، د.ط (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٩٣ م).
- ٥٣- الزبيدي، محمد: إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، ج ١٤، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٥ م).
- ٥٤- الزركشي، شمس الدين: شرح الزركشي على مختصر الخرقى، ج ٧، ط ١ (الرياض: دار العبيكان، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م).
- ٥٥- الزمخشري، أبو القاسم: أساس البلاغة، ج ٢، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م) ص ٢٣٢.
- ٥٦- ابن زنجويه، أبو أحمد: الأموال، تحقيق: شاكر ذيب فياض، ج ٣، ط ١ (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م).
- ٥٧- ابن سعد، محمد: كتاب الطبقات الكبير، تحقيق: علي محمد عمر، ج ١١، ط ١ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م).
- ٥٨- السكري، أبو سعيد: شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبد الستار فراج، ج ٣، د.ط (القاهرة: دار العروبة، د.ت).
- ٥٩- ابن سلام، أبو عبيد: الأموال، تحقيق: محمد عمارة، ط ١ (بيروت: دار الشروق، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م).
- ٦٠- السلمي، عرام بن الأصبغ: أسماء جبال تهامة وجبال مكة والمدينة وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠ م).
- ٦١- السمعاني، أبو سعد: الأنساب، ج ٦، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨ م).
- ٦٢- السهيلي، أبو القاسم: الروض الأنف، تحقيق: عمر السلامي، ج ٧، ط ١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م).
- ٦٣- ابن سيده، علي: المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداي، ج ١٠، ط ١ (١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م).

- ٦٤- السيوطي، جلال الدين: التوشيح شرح الجامع الصحيح، تحقيق: رضوان جامع رضوان، ج ٩، ط ١ (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م).
- ٦٥- ابن شبة، عمر: تاريخ المدينة، تحقيق: فهيم شلتوت، ج ٢، د.ط (جدة: د.م، ١٣٩٩ هـ).
- ٦٦- الشيباني، أبو عبد الله: السير الصغير، تحقيق: مجيد خدوري، ط ١ (بيروت: الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٥ م).
- ٦٧- الشيباني، أبو عمرو: كتاب الجيم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ج ٣، د.ط (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م).
- ٦٨- أبو شيبية، أبو بكر: المصنف، تحقيق: كمال يوسف، ج ١٦، ط ١ (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩ هـ).
- ٦٩- الطبري، أبو جعفر: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ١١، ط ٢ (القاهرة: دار المعارف، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م).
- ٧٠- ابن عساكر، علي: تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ج ٣٧، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م).
- ٧١- العسقلاني، ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل عبد الموجود، ج ٨، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م).
- ٧٢- العمري، ابن فضل الله: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج ٢٧، ط ١ (أبو ظبي: المجمع الثقافي، ١٤٢٣ هـ).
- ٧٣- ابن فارس، أحمد: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ج ٦، د.ط (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م).
- ٧٤- الفاكهي، أبو عبد الله: أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: عبد الملك الدهيش، ج ٦، ط ٢ (بيروت: دار خضر، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م).
- ٧٥- الفراهيدي، الخليل: العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ج ٨، د.ط (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت).
- ٧٦- الفيروز آبادي، مجد الدين: القاموس المحيط، ج ٤، د.ط (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م).
- ٧٧- الفيومي، أحمد: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط ٢ (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٠٨ هـ / ١٩٩٧ م).
- ٧٨- القرشي، أبوزكريا: الخراج، تحقيق: أحمد شاكر، ط ٢ (القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها، ١٣٨٤ هـ).
- ٧٩- ابن قرقول، أبو إسحاق: مطالع الأنوار على صحاح الآثار، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث الناشر، ج ٦، ط ١ (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م).

- ٨٠- القزويني، زكريا: آثار البلاد وأخبار العباد، د.ط (بيروت: دار صادر، د.ت).
- ٨١- القفطي، جمال الدين: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦ م).
- ٨٢- القلقشندي، أبو العباس أحمد: صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج ١٤، ط١ (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٤٠هـ/١٩٢٢ م).
- ٨٣- ابن قيم، أبو عبد الله شمس الدين: زاد المعاد في هدي خير المعاد، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، ج ٦، ط٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨ م).
- ٨٤- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: البداية والنهاية، ج ١٥، د.ط (بيروت: مكتبة المعارف، ١٤١٠هـ/١٩٩٠ م).
- ٨٥- ابن كثير، أبو الفداء: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ج ٤، د.ط (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م).
- ٨٦- الكلبي، ابن السائب: الأصنام، تحقيق: أحمد زكي باشا، ط ٤ (القاهرة: دار الكتب المصرية، ٢٠٠٠ م).
- ٨٧- ابن ماجه، أبو عبد الله: سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج ٢، د.ط (القاهرة: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ت).
- ٨٨- ابن الجاور، جمال الدين: تاريخ المستبصر (صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز)، مراجعة: ممدوح حسن، د.ط (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٦ م).
- ٨٩- الماوردي، أبو الحسن: الحاوي الكبير، تحقيق: علي معوض وآخرون، ج ١٩، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩ م).
- ٩٠- المقدسي، شمس الدين محمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٢ (ليدن: مطبعة بريل، د.ت).
- ٩١- الماوردي، أبو الحسن: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد البغدادي، ط ١ (١٤٠٩هـ/١٩٨٩ م).
- ٩٢- المرزوقي، أبو علي: الأزمنة والأمكنة، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧ م).
- ٩٣- المعافري، سعيد: الأفعال، تحقيق: حسين شرف، ج ٤، د.ط (القاهرة: مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥ م).
- ٩٤- المقرئ، تقي الدين: الأوزان والأكيال الشرعية، تحقيق: سلطان المسمار، ط ١ (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧ م).
- ٩٥- المقرئ، رسائل المقرئ، تحقيق: رمضان البدر وأحمد قاسم، ط ١ (القاهرة: دار الحديث، ١٤١٩هـ/١٩٩٨ م).
- ٩٦- المكي، أبو الطيب: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: نخبة من هيئة كبار العلماء، ج ٢، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠ م).

- ٩٧- ابن المنذر، أبوبكر: الإشراف على مذاهب العلماء، تحقيق: صغير أحمد الأنصاري، ج ١٠، ط ١ (رأس الخيمة: مكتبة مكة الثقافية، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤ م).
- ٩٨- المناوي، محمد: النقود والمكايل والموازين، تحقيق: رجاء السامرائي، د.ط (بغداد: دار الرشيد للنشر، ١٩٨١ م).
- ٩٩- المنجم، إسحاق: آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، ط ١ (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨ هـ).
- ١٠٠- ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، ج ١٥، ط ٢ (بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ).
- ١٠١- النحاس، أبو جعفر: عمدة الكتاب، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، ط ١ (ليماسول: الجفان والجابي للطباعة والنشر، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م).
- ١٠٢- ١٠٢. النووي، محيي الدين: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج ١٨، ط ٢ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢ هـ).
- ١٠٣- ابن هشام، عبد الملك: السيرة النبوية، تحقيق: عمر تدمري، ج ٤، ط ٢ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م).
- ١٠٤- الهمداني، الحسن بن أحمد: صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد الأكوع، ط ١ (صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م).
- ١٠٥- الهندي، علاء الدين: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكرى حيانى وآخرون، ج ١٨، ط ٥ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م).
- ١٠٦- الواقدي، أبو عبد الله: المغازي، ج ٢، ط ٢ (بيروت: دار الأعلمي، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م).
- ١٠٧- ابن وحشية، أحمد: الفلاحة النبطية، تحقيق: توفيق فهد، ج ٢، د.ط (دمشق: المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٩٥ م).
- ١٠٨- أبو يوسف، يعقوب: الخراج، د.ط (بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م).

ثانياً : المراجع العربية :

- ١- الأفغاني، سعيد: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط ٢ (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م).
- ٢- أنيس، إبراهيم، وآخرون: المعجم الوسيط، ط ٤ (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م).
- ٣- البستاني، بطرس: أدباء العرب في الجاهلية وصدرا الإسلام، ط ١ (القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤ م) ص ٢٣٦.
- ٤- البلادي، عاتق: معجم معالم الحجاز، ط ٢ (مكة: دار مكة، ٢٠١٠ م).
- ٥- جاسم، جاسم علي: الألسنية التطبيقية من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي نشأتها وتطورها وموضوعاتها، د.ط (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٤١ هـ / ٢٠٢٠ م).

- ٦- جبل، محمد: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ج ٤، ط ١ (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠ م).
- ٧- جرادي، علي: المقادير الشرعية وضبطها بالمقادير العصرية على مذهب السادة الحنيفية، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٤٠ هـ).
- ٨- ابن جريس، غيثان: دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة (ق ١ هـ - ق ١٠ هـ / ق ٧ م - ق ١٦ م)، ج ٢، ط ١ (د.م: دن، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م).
- ٩- الجودي، صالح: الطائف بين الموروث والمستجدات، ط ١ (الطائف: دار الحارثي ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م).
- ١٠- الحسيني، باقر: تطور النقود العربية والإسلامية، ط ١ (بغداد: مطبعة دار الجاحظ، ١٩٦٩ م).
- ١١- حمودة: عبد الحميد: تاريخ العرب قبل الإسلام، ط ١ (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م).
- ١٢- حمور، عرفان: سوق عكاظ ومواسم الحج، ط ١ (بيروت، مؤسسة الرحاب الحديثة، ٢٠٠٠ م).
- ١٣- حميد الله، محمد: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط ٦ (بيروت: دار النفائس ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م).
- ١٤- خلف، محمد: تاريخ القبائل العربية في العصر الإسلامي منذ الفتح حتى القرن الرابع الهجري، ط ١ (الإسكندرية: دار التعليم الجامعي، ٢٠٢٠ م).
- ١٥- الخياط، عبدالعزيز: مقاصد الشريعة وأصول الفقه، ط ١ (عمّان: البنك الإسلامي الأردني، ٢٠٠٠ م).
- ١٦- الرشيد، ناصر: سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام، ط ١ (القاهرة: دار الأنصار، ١٩٧٧ م).
- ١٧- الزبيدي، مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، ج ٤٠، ط ١ (الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م).
- ١٨- زيود، محمد: مختارات في التاريخ والحضارة العربية الإسلامية، ط ١ (دمشق: دار طلاس، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م).
- ١٩- السوداني، صلاح: الحياة الاجتماعية في الحجاز قبل الإسلام، ط ١ (عمّان: مركز الكتاب الأكاديمي، ٢٠١٦ م).
- ٢٠- السيد، محمد قاري: ملامح من التراث العمراني في محافظة الطائف، ط ١ (الطائف: اللجنة العامة للتنشيط السياحي، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م).
- ٢١- السيف، عبد الله: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، ط ١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م).

- ٢٢- شاهين، محمد: تاريخ الموالي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١١ م).
- ٢٣- آل الشيخ، نورة: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام، د.ط (جدة: مكتبة تهامة، ١٤٠٢ هـ).
- ٢٤- صادق، محمد: دليل الحج للوارد من مكة والمدينة من كل فج، ط١ (بولاق: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣١٣ هـ / ١٨٩٦ م).
- ٢٥- الصويان، سعد: الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية (الحرف والصناعات)، ج١٢، ط١ (الرياض: دار الدائرة، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م).
- ٢٦- الطيار، عبد الله وآخرون: الفقه الميسر، ج١٣، ط١ (الرياض: مدار الوطن للنشر، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م).
- ٢٧- عرفة، محمود: العرب قبل الإسلام أحوالهم السياسية وأهم مظاهر حضارتهم، د.ط (القاهرة: دار الثقافة العربية، د.ت).
- ٢٨- أبو العلا، محمد: جغرافية المملكة العربية السعودية، ج٢، ط٥ (القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٨٦ م).
- ٢٩- علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١٠، ط١ (بيروت: مكتبة العلم للملايين، ١٩٧٧ م).
- ٣٠- العلي، صالح: المنسوجات والألبسة العربية في العهود الإسلامية الأولى، ط١ (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ٢٠٠٢ م).
- ٣١- العمري، أحمد: الصنائع والمهن في نجد والحجاز في صدر الإسلام والعصر الأموي، ط١ (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م).
- ٣٢- العمري، عبدالعزيز: الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول، ط١ (الرياض: دار إشبيلية، ٢٠٠٠ م).
- ٣٣- القاري، عبد الحفيظ: رسالة في أخبار الطائف، تحقيق: علي عمر، ط١ (القاهرة: نوايح الفكر، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م).
- ٣٤- القصير، عيسى: أحلى اللطائف في منتجع الطائف، ط١ (الطائف: جامعة الطائف، ٢٠١٠ م).
- ٣٥- القيسي، عاطف: ثقيف ودورها في التاريخ العربي الإسلامي حتى أواخر العصر الأموي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣ م).
- ٣٦- كدر، جورج: معجم آلهة العرب قبل الإسلام، ط١ (بيروت: دار الساقى، ٢٠١٣ م).
- ٣٧- المترك، عمر: الربا والمعاملات المصرفية في نظر الشريعة الإسلامية، تحقيق: بكر أبو زيد، د.ط (الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع، د.ت).
- ٣٨- محمددين، محمد وآخرون: دراسات في تاريخ الجزيرة العربية (الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين)، تحرير: عبدالقادر محمود وآخرون، ج٢، ط١ (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م).

- ٣٩- مرعي، عيد: معجم الآلهة والكائنات الأسطورية في الشرق الأدنى القديم، د.ط (دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٨ م).
- ٤٠- المزني، أبو إبراهيم: مختصر المزني، د.ط (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م)
- ٤١- معطي، علي: تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام، ط ١ (بيروت: دار المنهل اللبناني، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م).
- ٤٢- معلوف، لويس: المنجد في اللغة والأعلام، ط ١٩ (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، د.ت).
- ٤٣- الملاح، هاشم: الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١١ م).
- ٤٤- الملاح، هاشم: طبيعة الدولة الإسلامية (دراسات تاريخية في المفهوم والنظم والإدارة)، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩ م).
- ٤٥- منصور، حسن: المجتمع العربي: بين التاريخ والواقع، ط ٢ (عمان: دار الأمواج، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م).
- ٤٦- مهران، محمد: دراسات في تاريخ العرب القديم، د.ط (القاهرة: دار المعرفة الجامعية، د.ت).
- ٤٧- النابلسي، شاكز: المال والهلال، ط ١ (بيروت: دار الساقى، ٢٠٠٢ م).
- ٤٨- النعيم، نورة: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي، ط ١ (الرياض: دار الشواف، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م).
- ٤٩- هارون، نبيل: المعجم الوجيز، ط ٣ (القاهرة: دار التحرير للطبع والنشر، ١٩٨٩ م).

ثالثاً: المراجع العربية:

- ١- بيوتروفسكي، م.ب: اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة حتى العاشر الميلادي، ترجمة: محمد الشعبي، ط ٢ (صنعاء: الثريا للطباعة والإعلام والنشر، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م).
- ٢- قروم، نايقل: اللبان والبخور دراسة لتجارة البخور العربية، ترجمة: عبد الكريم عبدالله الغامدي، د.ط (الرياض: جامعة الملك سعود للنشر العلمي، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م).
- ٣- هنتس، فالتر: المكاييل والأوزان الشرعية وما يعادلها في النظام المتري، ط ٢ (عمان: الجامعة الأردنية، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م).
- ٤- يلياييف، أ.ي: العرب والاسلام والخلافة العربية في القرون الوسطى، ترجمة: أنيس فريحة، ط ١ (بيروت: الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٣ م).

رابعاً : المجلات والدوريات :

- ١- التكريتي، بهجت: الطائف رافد من روافد الثقافة العربية والإسلامية، مجلة الفيصل، ع ٤ (الرياض: دار الفيصل الثقافية، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م).
- ٢- الجابري، نزهة: قرى الطائف، سماتها وأنماطها، المجلة الجغرافية العربية، مج ٢، ع ٥٢ (القاهرة: الجمعية الجغرافية المصرية، ٢٠٠٨م).
- ٣- الجرو، أسهمان: طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج ٢، ع ٢ (عدن: دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ١٩٩٩م).
- ٤- ابن جريس، غيثان: تاريخ مخلاف جرش (عسير) خلال القرون الإسلامية الأولى، مجلة بيادر، ع ٢٤ (أبها: نادي أبها الأدبي، ١٩٩٨م).
- ٥- الحفيظ، عماد: استخدام النباتات الطبية في مكافحة الآفات الزراعية والمنزلية، مجلة المورد، مج ٢١، ع ٢ (بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٩٣م).
- ٦- رضوان، هناء: النقود الإسلامية القديمة، مجلة الاجتهاد، مج ٩، ع ٣٤-٣٥ (بيروت: دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، ١٩٩٧م).
- ٧- الساعاتي، عبدالرحيم: العلة الاقتصادية لتحريم ربا النسئة والفضل، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، مج ٢٥، ع ٢ (جدة: جامعة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٣هـ / ٢٠١٢م).
- ٨- السندي، صالح: سوق عكاظ، مجلة رسالة المعاهد العلمية السعودية، ع ١١ (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - معهد الرياض العلمي، ١٩٩٢م).
- ٩- السيف، عبدالله: الصناعات في نجد والحجاز في العصر الأموي، مجلة الدارة، مج ٧، ع ٣ (الرياض: دار الملك عبدالعزيز، ١٩٨٣م).
- ١٠- صالح، ياسر: الآطام والحصون بجنوب الطائف: دراسة أثرية معمارية، مجلة الاتحاد العام للأثاريين العرب، ع ١٧ (القاهرة: الاتحاد العام للأثاريين العرب، ٢٠١٦م).
- ١١- آل عبدالله، الشريف محمد: عيون الطائف، مجلة العرب، مج ٢٤، ع ٩-١٠ (الرياض: دار اليمامة، ١٩٨٩م).
- ١٢- العتيبي، سعيد بن ديبس: طريق الحج البصري: أهميته التاريخية والحضارية، مجلة الدرعية، مج ٩، ع ٣٦ (الدرعية: الشيخ أبو عبدالرحمن الظاهري، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م).
- ١٣- علي، جواد: مصطلحات الزراعة والري في كتابات المسند، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٢، ع ٣٦ (بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).
- ١٤- العمري، صقر: المناخ وزراعة العنب في الطائف، مجلة الرسالة، ع ٢٢٥ (الكويت: جامعة الكويت، ١٩٩٩م).
- ١٥- أبوغنيمة، خالد: أنماط المعيشة ودورها في تكوين التشكيلات الاجتماعية في عصور ما قبل التاريخ، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، مج ٤، ع ١ (عمان: الجامعة الأردنية، ٢٠١٠م).

- ١٦- كمال، محمد: من تاريخ الطائف: وادي نخب وسكانه قبيلة وقدان، مجلة العرب، مج ١، ع ٦ (الرياض: دار اليمامة، ١٩٦٧ م).
- ١٧- مبارك، علي: الأوزان العربية، مجلة المقتطف، مج ١٧، ع ٧ (القاهرة: مطبعة المقتطف، ١٣١٠هـ / ١٨٩٣ م).
- ١٨- مراد، بركات: مآثر العرب والمسلمين في ميدان الفلاحة والري وحرث الأرض ومكافحة الآفات، مجلة الوعي الإسلامي، س ٤٨، ع ٥٥٦ (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م).

خامساً : الرسائل الجامعية :

- ١- حيدر، بادية: الخمرة في الحياة الجاهلية والشعر الجاهلي، رسالة ماجستير غير منشورة، دائرة اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى، الجامعة الأمريكية في بيروت، ١٩٨٦ م.
- ٢- سعيد، محمد: الحياة الاقتصادية في اليمن في عهد بني رسول (٦٢٦-٨٥٨ هـ / ١٢٢٩-١٤٥٤ م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، ١٩٩٨ م.
- ٣- عامر، جمال: الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم تاريخ شبه الجزيرة العربية، المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٥ م.
- ٤- العليان، خالد: الأسواق التجارية في الحجاز واليمن منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر العباسي الأول (١-٢٣٢ هـ / ٦٢٢-٨٤٦ م)، رسالة ماجستير منشورة، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م.
- ٥- الكناني، توفيق: الطائف قبل الإسلام من الألف الأول ق.م حتى أوائل القرن ٧م، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م.
- ٦- لعشوري، أمال: الحرف والمهن في الدولة الإسلامية في العهدين النبوي والراشدي، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ قالة، ١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧ م.

سادساً : المصادر والمراجع الأجنبية :

1. Herodotus: The History of Heradouts, translated by: A. Godly , Vol. II (London: 1928)
2. Dayton.J.: the problem of climate change in the arabian peninsula PSAS , Vol.5 (londonm,IA: 1975)